الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
الرقم: L15/247

الميدان: لغة وأدب عربي
فرع: أدب عربي
تخصص: أدب عربي حديث

مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالبة: **سامية قريني**

تحت عنوان

تجليات الرومانسية في رواية "ماجدولين" تحت ظلال الزيزفون -أنموذجا-

تاريخ المناقشة: 2017/05/25

لجنة المناقشة:

- د/ إبراهيم زلافي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
- أ/بولنوار بوديسة	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
- أ/ مولود قاني	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2017/2016م

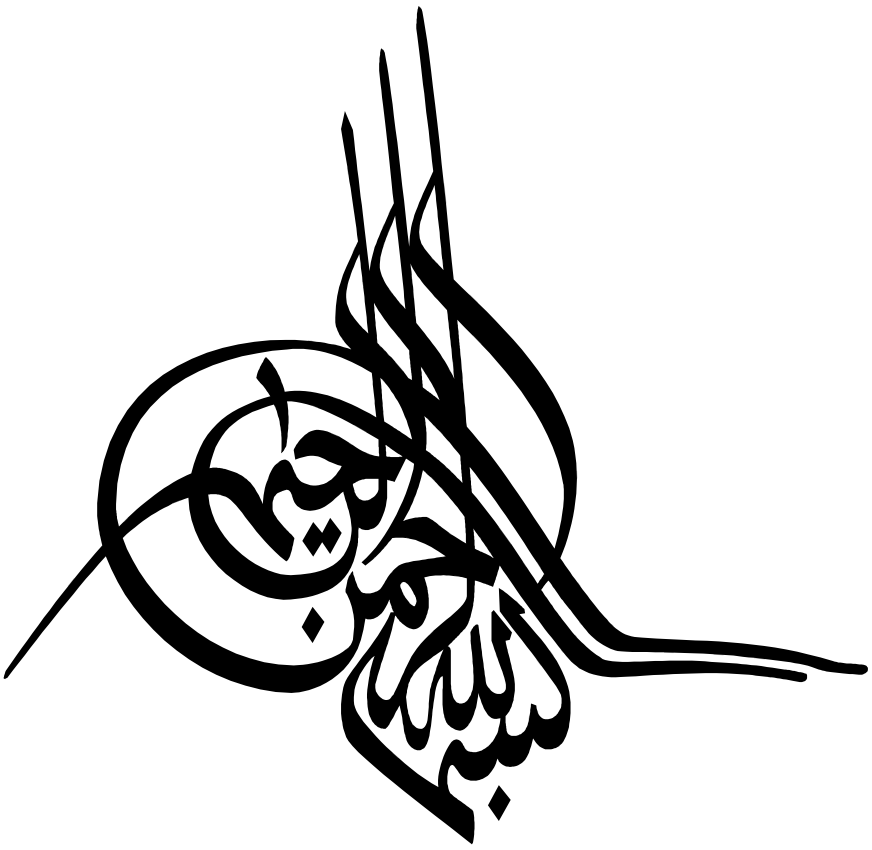

''وقل اعملو فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون''صدق الله العظيم

الحمد لله الحمد الكثير والوافر الجزيل والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

إن الحمد الأول والأكبر احمده لله عز وجل الذي إعطاني القوة والعمني الصبر لإتمام هذا العمل الذي أرجو وان أكون قد يسرت فيه فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمن الشيطان ولكل عمل وان تم نقصان

اهدي وأزف هذا العمل بكل عبارات الحب والعرفان والتقدير إلى من سافرا معي السفر الطويل وزوداني بالدعاء والصلوات إلى قرة عيني والديّ إلى من وضع الله عز وجل الجنة تحت أقدامها إلى منبع الحنان ومصدر العطاء إلى غاليتي ومتكئي أمي التي منحتني الحب والعاطفة إلى من ساندي في كل خطواتي وأرشدني وسار لجانبي إلى والدي الغالي الذي علمني طعم النجاح ومعنى الصبر ومكارم الأخلاق فدمتما ذخرا وفخرا لي

وادامكما الله لتقطفا ثمرة عملكما وتستبشرا منها خيرا

إلى إخوتي وسندي صبرينة نعيمة محمد

الى جدي العزيز وجدتي إلى خالي وأخي إسماعيل والى كل إفراد عائلتي الكبير والصغير وكل من ساهم معي من قريب أو من بعيد

شكر وعرفان خاص إلى فرحات إسماعيل

والشكر الأكبر لأستاذي الفاضل بوديسة بولنوار الذي لم يبخل علي بالنصح والإرشاد

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل وأفدت به كل محتاج للعلم ومستنير بالمعرفة

مقدمة

في كلّ زمان ومكان هناك ثورة على القديم وطموح نحو شيء جديد غير معتاد كذلك حدث للحركة الأدبية في منتصف القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر.

لقد تراقصت أوربا العظمى بكل ضواحيها على أنقاذ المدرسة الكلاسيكية التي ذاق ذرعا أدباء ذلك العصر بقوانينها ونزعتها الآمرة الموجهة، فقد كانت تدور في حلقة مفرغة وتنتج ترسبات لما قبلها لم تحوي أي إبداع أو تجديد فلابد لها من الزوال والاندثار لتقوم محلها مدرسة واتجاه أدبي جديد واضح المعالم ومواكب لمتطلبات الوقت وميولاته، فكانت المدرسة الرومانسية بمساندیها وروادها الوضع والمبدأ الجديد القائم في الساحة الأدبية خلال القرن التاسع عشر لتعلن عن ميلاد فكر تحرري وفن راقي يلم بكل النفوس الإنسانية لأنّها اتجاه ذو حس فلسفي وذوق عاطفي يمس كلّ المتألمين والبائسين دون مراعاة للطبقات والانتماءات.

ظهرت المدرسة الرومانسية وبرزت معالمها في الشعر والنثر وتجلت خصائصها بوضوح في كلّ الأعمال الأدبية فهام الشعراء بخيالهم الخصب وتطايروا في الطبيعة قاطفين من أزهارها أجمل الألوان الشعرية وآخذين من رحيقها أحلاه وأجمله وتأججت عواطفهم لكل محب طموح وصار شعارهم الحب والود بين جميع المخلوقات فلا مجال للبغض والحقد فتألموا لأوجاع المتفجعين وكتبوا أجمل المقاطع مناجاة لأحزان البائسين، فقد كان الاتجاه الرومنسي مرآة عاكسة لصور المجتمع الأوربي بكل أطيافه.

وفي ميدان النثر برع الكتاب والمؤلفون في كتابة أروع الرّوايات وأكثرها ملامسة للواقع وتساموا في أعمالهم فكتبوا عن الحب والألم والفقر والحزن عن البؤساء والمحرومين المضطهدين الأبرياء، فلا تكاد تخلو رواية رومانسية من هذه المظاهر إلّا ونجدها مفعمة بأرق المشاعر الإنسانية وأجلها وأصدقها وكذلك الإلمام بشؤون المتألمين والشعور بحسهم المأساوي ووجعهم الكبير.

والرّواية التي تناولتها بالدراسة نموذج حي عن الرّواية الرومانسية المتأججة بجميع خصائص المدرسة الرومانسية وينابيعها.

"ماجدولين" للكاتب الفرنسي الشهير ألفونس كارو التي لخصها المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي بقلمه هي رواية اشتملت على العديد من مبادئ المدرسة الرومانسية، فشخصياتها شخصيات شاعرية حساسة مستمدة من الواقع المعاش تحب وتتألم، تحزن وتتفجع، مولعة بالطبيعة ومفعمة بالعاطفة، تتمايل على أوتار الزّمن وتقلباته.

إذن كيف تجلت مظاهر الرومانسية في الرّواية؟ أو إلى أي مدى يمكن أن نجدها داخل النّص الرّوائي بكل فروعه؟

ولكي ندرك فيما تمثلت هذه المظاهر لابد أوّلا من معرفة نشأة الرومانسية الغربية، أهم خصائص المدرسة الرومانسية، وكيف انتقلت إلى الأدب العربي، وظروف نشأتها وتطورها.

اعتمدت في بحثي هذا على منهجين:

- المنهج الوصفي الّذي يهتم بوصف المدرسة وتتبع طرق وظروف نشأتها.

- ثمّ المنهج التاريخي الّذي استعملته في تتبع مسار اتجاه الرومانسية عند الغرب ثمّ انتقاله للعالم العربي.

اعتمدت في بحثي على خطة بحث سارت على النحو التالي:

- مقدمة حول الموضوع إضافة إلى مدخل تفصيلي.

- تكونت من فصلين نظري وتطبيقي، الفصل النظري هو عبارة عن فصل تمهيدي تناولت فيه التعريف اللّغوي والاصطلاحي للرومانسية ثمّ ظروف نشأة الرومانسية عند الغرب وانتقالها إلى العرب، وكذلك أهم خصائص المدرسة الرومانسية.

- أمّا الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي حاولت فيه إسقاط خصائص المدرسة الرومانسية على الرّواية "تحت ظلال الزيزفون (ماجدولين)" لمصطفى المنفلوطي، أي الخصائص التي حوتها الرّواية.

- وأخيرا الخاتمة التي كانت بمثابة حوصلة أو محصلة لهذه الدراسة.

اعتمدت على مجموعة من المصادر المهمة أبرزها: الرومانتيكية لمحمد غنيمي هلال، الطبيعة الرومانسية لأحمد عوين، الرومانسية في الأدب الأوربي لبول فإنّ تيفيم، الأدب ومذاهبه لحمد مندور، إضافة إلى الكثير من المصادر القيمة.

إنّ المدرسة الرومانسية كموضوع بكل فروعها بالغة الأهمية والخصائص التي تحويها كونها مستمدة من طبيعة الإنسان وفطرته البشرية، فهي تخاطب الإنسان بالدرجة الأولى لذاته وتلامس مشاعره وأحاسيسه أكثر من أي اتجاه أدبي آخر.

كذلك قضية الترجمة- أي ترجمة الكتاب العرب للأعمال الغربية- فالمنفلوطي كاتب مصري ترجم الكثير من الروائع الغربية العالمية.

أمّا سبب اختياري لهذه الرواية فهو ولعي الكبير بالروائع العالمية ورغبتي الشديدة في إطلاع المثقف العربي على هذا الزخم الهائل من الإبداعات الراقية المتعالية الحس.

وفيما يخص الصعوبات التي تلقيتها قلة الدراسات السابقة في هذا الموضوع- أي بالزاوية التي تطرقت إليها- كذلك قلة المصادر التي تتحدث عن الرّواية الرومانسية بالتحديد.

وفي الأخير الشكر والتقدير الجزيل موجه لأستاذي الفاضل الأستاذ- بوديسة بلنوار- الّذي كان نعم المرشد والناصح.

مدخل

تطور الرواية

1- نشأة الرواية

2- انتقالها إلى العالم العربي

3- الترجمة

1- نشأة الرواية:

الرّواية تشكيل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحيـــاة ذاتهـــا، ويعتمـــدا هـــذا التشكيل على الحدث النامي الّذي يتشكل داخل إطار وجهة نظر الرّوائي وذلك من خـــلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الّذي تدور فيه هذه الأحداث، على نحو يجسد في النهاية صراعا دراميا ذا حياة داخلية متفاعلة.

وهذا المفهوم الفني للرّواية، مفهوم حديث نسبيا، لم تعرفه الآداب بالغربيـــة قبـــل أواخر القرن الثامن عشر وما تلاه، وذلك من خلال أعمال أمثال جين أوســـتين (1775-1817) وجورج ميريديث في إنجلترا، وأميل زولا، وجو ستاف فلوبير وأنوريه دي بلزاك في فرنسا.... ودستويفسكي في روسيا، لقد استطاعت أعمال هؤلاء الرّوائيين وأمثالهم أن تعطي تنوعا باتجاهاتها المتعددة، كما استطاعت أن تركـــز بتأكيـــد أكثـــر علـــى الواقـــع الاجتماعي والواقع الفردي.

استطاعت الرّواية الغربية منذ القرن التاسع عشر وخلاله، أن تقـــدم فـــي العمـــل الرّوائي كائنا يتحرك في الزّمن، كما استطاعت أن تترجم الزّمن إلى سلسلة مترابطة مـــن الأحداث، وأن تنظر إلى حياة الإنسان بالتالي على أنّها سلسلة من الأفعال المترابطة داخل الزّمان، وكان هذا في الواقع هو الميلاد الحقيقي للرّواية الفنية الحديثة[1].

يمكن اعتبار قصص الرومانس في العصور الوسطى، وقصص البيكارسك والرعاة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، بدايات تمهيدية للفن الرّوائـــي الحـــديث، وأغلـــب الباحثين يرون هذا، إلّا أنّها في الواقع تكاد تكون بدايات منفصلة حيث لا تعـــدو الصـــلة بينهما وبين الرّواية الحديثة أن تكون مثل ما بين الأشكال القصصية التـــي عرفهـــا الأدب العربي القديم وبين فن الرّواية الحديثة.

---

[1] السعيد بيومي الورقي: اتجاهات الرّواية العربية المعاصرة، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ب)، 1998، ص08.

"تطور فن الرواية و ارتقى واغتنى بفضل عاملين الأول تأثير القصة الانجليزية التي سبقت القصة الفرنسية إلى التطور ومن ثم أكسبتها الملاحظة الدقيقة لأحوال الطبقة الوسطى والاعتناء بالمشاعر العادية لأفراد البشر العاديين، والثاني تأثير الاتجاهات الاجتماعية والفكرية المستجدة من حيث روح التفحص الموضوعي والمناقشة الحرة والالتفات إلى معالجة المشكلات الأخلاقية والسياسية"[1].

"وفي القرن التاسع عشر عدت الرواية أوسع الأنواع الأدبية وأكثرها شمولا إذا احتوت على عنصر المغامرة كما في القرون الوسطى والعنصر النفسي كما في القرن السابع عشر والعنصر الاجتماعي كما في القرن الثامن عشر، ثم تمثلت كل تطلعات القرن التاسع عشر واتصفت على التوالي بالغنائية، والواقعية الاجتماعية والطبيعية الرمزية"[2].

أمّا الثورة الكبرى في الأدب الرّوائي الحديث في أوربا، فكانت تلك الثورة التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر[3].

2- انتقالها إلى العالم العربي:

تعرف الأدب العربي الحديث منذ مطلع هذا القرن على الرّواية الغربية في أشكالها المتعددة ومذاهبها المختلفة واستطاع هذا الفن الجديد خلال فترة ضئيلة- قياسا بتاريخ الشعر في العربية- أن يحتل الصدارة بين الفنون الأدبية، وأن يخفت صوت الشعر، مع ما للشعر من رصيد هائل في الوجدان العربي، وتلاحقت اجيال كتاب الرّواية في الأدب العربي الحديث في سرعة مدهشة، مثل فيها كلّ عقد جيلا له نصيبه الواضح من المحاولة والتجريب وله مساهمته الملحوظة في التطوير والتقدم، وله ملامحه التي تميزه عن غيره[4].

---

[1] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب (مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها) (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص70.

[2] المرجع نفسه، ص71.

[3] السعيد بيومي الورقي: اتجاهات الرّواية العربية المعاصرة، ص05.

[4] المرجع نفسه، ص06.

3- الترجمة:

"بدأت حركة الترجمة في العالم العربي- عندما بدأت- بالأدب الفرنسي وخاصة الكلاسيكي والرومانسي عند الطهطاوي والجيل التالي له، ومع الاحتلال الإنجليزي نشطت الترجمات عن الإنجليزية، ثمّ ما لبثت الترجمة أن اتسعت فشملت معظم اللغات الأوربية والآسيوية كذلك"[1].

لا شك أنّ الأدب العربي الحديث قد تأثر بالآداب الغربية تأثرا يفوق تأثره بالآداب العربية القديمة، وذلك منذ أن أخذ العرب يتصلون بالعالم الغربي، سواء بواسطة المبشرين والمحتلين ورجال المال والتجارة الّذين وفدوا من بلاد العرب، أو بواسطة البعثات العلمية التي أرسلتها البلاد العربية إلى البلاد الغربية وأخيرا بواسطة أبناء العرب الّذين نزحوا إلى المهاجر الغربية، وكان هذا التأثر إمّا عن طريق الترجمة، وإمّا عن طريق القراءة في اللغات الأصلية للآداب بالغربية، وربما كانت هذه الوسيلة الأخيرة هي أكثرها تأثيرا في الأدب العربي الحديث لأنّ للآداب- كما هو معلوم- خصائص فنية وثيقة الاتصال باللغة التي تكتب بها، وهي في الغالب تفقد هذه الخصائص عند الترجمة، كما يصعب فهمها وإدراك حقيقتها عند الحديث عنها حديثا نظريا إلى من يجهلون لغاتها الأصلية[2].

ما من ريب في أنّ للترجمة تأثيرا جليا في نهضة الأدب العربي، وكان هذا التأثير في النثر أكبر منه في الشعر، لأسباب متعددة منها أنّ الشعر إذا ترجم فقد ألقه وسحره وإيقاعه الخاص وانعدام تأثيره في قراءته، أمّا النثر فترجمته لا تفقد النّص إلّا القليل من إيحاءاته ودلالاته وإن كان المظهر الأسلوبي للنثر المترجم يتلاشى حتما إلّا في القليل الّذي يتاح له مترجم يتمتع بأسلوب قوي يضاهي أسلوب المؤلف، وهذا لا يحدث إلّا نادرا.

ومن تأثير الترجمة على النثر العربي خاصة والأدب عامة التخفيف من أساليب السجع والزخرف البديعي، واكتساب تعبيرات جديدة لم تكن متداولة في اللّغة العربية

---

[1] السعيد بيومي الورقي: اتجاهات الرّواية العربية المعاصرة، ص25.

[2] محمد مندور: الأدب ومذاهبه، (د ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ب)، (د س)، ص03.

وكذلك اقتراض مصطلحات أدخلت على العربية عن طريق التعريب والتحوير، ونشأت لدى عدد من رواد النهضة الأدبية فكرة المقابلة بين العربية وغيرها من اللغات الأوربية من حيث القواعد وأساليب التعبير[1].

ترجم المنفلوطي بول وفرجيني ونشرها في كتاب مستقل بعنوان "الفضيلة" ولم تكن الترجمة قاصرة على القصص والروايات بل شملت الكتاب العلمي والفكري والفلسفي...، ولم تكن الترجمة حتّى ذلك الحين تهتم بالدقة الحرفية في نقل النّص الأصلي، فكان أكثر المشتغلين في هذا الباب يميلون إلى أخذ الفكرة ثمّ إعادة صياغتها بأساليبهم ظنا منهم أنّ هذا يقرب المادة المترجمة إلى الذوق العربي، فرخصوا لأنفسهم حذف المشاهد الغرامية الاهية من الرّوايات والقصص ونبذ الكلمات التي تخدش حياء القارئ، كذلك أضافوا الأصل من الأساليب العربية ما ينسب إلى التحلية والتنميق، كإدخال شواهد شعرية وأغاني وبعض الطرائف، وقد أسهم هذا- في حقيقة الأمر- في تشجيع القراء على قراءة الأدب الغربي وخير دليل على ذلك الإقبال الّذي لقيته ترجمات المنفلوطي على الرغم من أنّه لم يكن يتقن الفرنسية إتقانا يمكنه من فهم الأصل فهما جيدا[2]

---

[1] إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2003، ص26.

[2] المرجع نفسه، ص27- 28.

الفصل الأول

نشأة الاتجاه الرومانسي

أولا- نشأة الاتجاه الرومانسي

1- تعريف الرومانسية

ثانيا- النشأة والتطور

1- عن الغرب

2- عند العرب

ثالثا- مبادئ الاتجاه الرومانسي

1- الطبيعة:

2- العاطفة:

3- الإحساس بالغربة والألم والتعاطف مع البؤساء:

4- الحزن والمأساة:

5- الخيال:

6- التمرد:

7- النزعة الذاتية (الفردية):

8- الصورة والوحدة العضوية

9- القومية الوطنية

10- الإبداع والتحرر

خلاصة

أولا- نشأة الاتجاه الرومانسي:

1- تعريف الرومانسية:

أ- في الغة:

«رومانسي رومانتيكي، إبداعي (Romantic) صفة تطلق على كلّ ما يتعلق بالنزعة الأدبية التي عاشت في أواخر القرن الثامن عشر حتّى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تبرز الإبداعي والتعبير الذاتي والولع بالطبيعة موضوعا للأدب ومعيارا لجدودته».[1]

"ومن أسسها الفكرية الفلسفية نشدان الحرية، فإذا كان شعار البروجوازية "دعه يعمل دعه يمر" فإنّ شعار الرومانسية "دعه يعبر عن ذاته"".[2]

ب- في الاصطلاح:

- المصطلح الأدبي:

نحدد أوّلا المصطلح الأدبي لكلمة رومانس (Romance) ورمانسي (Romantic) فماذا نجد؟

"رمانس (Romance) لفظة إسبانية الأصل تدل على نوع من الصياغة الشعرية مؤلفة من مجموعة أبيات ثمانية المقاطع، تكون فيها الأبيات الزوجية مشتركة في القافية والأبيات الفردية مطلقة، أي غير مقفاة، كما هي الحالة في قصائد "السيد Cid" الإسبانية، وهذا السياق من النظم منحدر من البيت الملحمي القديم المؤلف من ستة عشر مقطعا فيتحول كل من الصدر والعجز إلى بيت مستقل.

---

[1] مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، ط2، مكتبة رياض الصلح، بيروت- لبنان، 1984، ص189.

[2] محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، (د ط)، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص158.

وأطلقت اللفظة أيضا ابتداءً من عام 1780 على نمط من الألحان الموسيقية المعزوفة على البيانو المتميزة بالتحرر من القيود الآسرة والمعبرة عن النزوات الفنية الصادرة في أعماق النفس البشرية ودلت اللفظة على القصّة العاطفية.

وليس من إجماع على اشتقاق إنّما ثمة قرابة تبدو ملامحها في "قصيدة الرومنس" المتعددة القوافي والمتحررة منها أحيانا وفي "الموسيقى" التي انزلقت خارج الخط المرسوم لها في المفهوم القديم وفي "القصّة العاطفية"".[1]

"ومن الصعب تعريف الرومانتيكية وكم كان محقا بول فرين "Pöul Verline" عندما قال: «لابد أن يكون المرء غير متزن إذا حاول تعريف "الرومانتيكية"»، ومع ذلك نحاول أن نعرفها كما يلي:

كلمة رومانتيزم (Romantisme) ترجع في الأصل إلى كلمة (Roman) الفرنسية، وكانت تدل في العصور الوسطى على قصّة من قصص المخاطرات شعرا ونثرا، ومنذ عام 1760 أصبحت تذكر مقابلة لكلمة كلاسيكية وكان ويليام سليجر "A.W.Shlegal" أوّل من بدأ بمعارضة الرومانتيكية بالكلاسيكية على أنّها اتجاه جديد في الأدب، ثمّ تلته مدام دي ستال "Madame de Stale"".[2]

"إنّ صفة "رومانسي" اشتقت من الكلمة الفرنسية القديمة "رومانتيسي Romanz" والتي تعني اللغات الرومانسية المحلية أي اللغات الناشئة عن اللاتينية كالإطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية والبروفانسية[*] والكاتالوني[**]، وكلمة (Romance) كانت تستخدم في العصور الوسطى لتصف إحدى قصص الفروسية المكتوبة باللغات المحلية، وكانت تلك القصص عادة، مكتوبة شعرا وكثيرا ما كانت تتخذ شكل الطلب.

---

[1] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية الإتباعية - الرومانسية- الواقعية- الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص156.

[2] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، (الكلاسيكية، الرومانتكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية، السوريالية)، د.ط، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م، ص65.

[*] لغة قديمة كانت تستخدم في جنوب شرق فرنسا.

[**] لغة قديمة لأهل كاتالونيا وهي منطقة تقع في شمال شرق إسبانيا، وكانت شديدة الارتباط باللغة البروفانسية القديمة.

ويمكن أن نعزو استخدامنا لكلمة "رومانس" و"رومانسي" بالمفهوم العامي الّذي يصف التجربة العاطفية إلى تلك الكلمات في العصور الوسطى، ويمكننا كذلك أن نرجع استخدامنا لمفهوم الرومانسية "كتجربة فكرية" إلى مفهومها في القرنين الثامن والتاسع عشر".[1]

"هي مرض، اضطراب، خيال، هياج، موجهة غرور، إيحاء باللامحدود، عودة إلى الطبيعة، متوحش ريفي طفولي، تركيز على الداخل، إهمال الماضي، سوداوية عاطفة، كانت الكلمة تعني قصص الخيال القديمة، حكايات الفروسية، المغامرة والحب، كلّ ما هو عاطفي جامع، لا واقعي، مناقض للمعقول (مثل ألف ليلة وليلة)، أي ما هو وحشي وهمي (إنجلترا)، ثمّ صارت تعني الخرافي السخيف والتافه (إنجلترا في القرن 17)، ثمّ دلت على ما هو طيب وقصص الرومانس القديمة وأدب القرون الوسطى تعني (المتحرر، الآسر للخيال)، وأطلقت على المناظر الريفية والأماكن المتوحشة، وصارت في فرنسا تدل على الاستجابة العاطفية أمام مشهد طبيعي رائع، وهكذا ظلت خارج مصطلحات النّقد وارتبطت بالإشارة إلى استعداد ذهني ينظر بارتياح إلى أشياء من النوع الخيالي، العاطفي، المتحرر".[2]

"رومانسيات العصور الوسطى حكايات مليئة بالخيال والإثارة والبطولات، ومن خصائص الفروسية السائدة في تلك الرومانسيات صفات الشرف والتودد للمرأة والإخلاص لها.

وأول من استعمل كلمة رومانسي بالمعنى الاصطلاحي "جونسون"، فقد وردت في كتاباته النقدية بمعنيين: الأوّل للذم (سخافات رومانسية وخرافات لا تصدق).

---

[1] دونكان هيث، جودي بورهام: الرومانسية الطبقة الأولى المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص09.

[2] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، د.ط، دار الهدى للطباعة وانشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص91.

والثاني للمدح (عندما ينشر الليل جناحيه على مشهد رومانسي يخيم معه الهدوء والصمت والسكينة)، واستعملها "جان جاك روسو" في روايته "موليز الجديدة" ويعني بها الجمال السحري الخارق الّذي لا يفسر، وأضحت هذه الكلمة تقترن بالمشاعر اللذيذة التي تستمد عادة من الطبيعة أو الشعر أو الموسيقي، وكل شعر يثير الخيال والعواطف سموه رومانسيا." [1]

«أوّل استخدام أكيد لهذه الصفة في اللّغة الإنجليزية كان حوالي عام 1954 وكان يقصد بها ما يشبه القصّة الرومانسية (Romance) وكان ذلك عادة يتضمن التحقير بسبب الإغراق والإفراط في الخيال، ثمّ زاد استعمال الكلمة انتشارا في القرن الثامن عشر بمعنى أفضل وفي وصف الأماكن بقصد إضافة إيحاءات الحزن الرقيق المقبول إليها».[2]

"إنّ لفظ الرومانسية من الألفاظ التي تتمتع بسحر خاص، في توحي بالحس المرهف، بالشفافية، بالنقاء الروحي، بحب الطبيعة والجمال، هي دائما مقرونة في الأذهان بضوء القمر، بخميلة تضم عاشقين ببحر زاخر وبجدول رقراق... رومانسي؟ إنّه الشّخص الّذي تحلق روحه مع الأحلام، مع الأوهام، الّذي يجيش صدره بكل ما فيه من خلجات من نبضات... رومانسي؟ من يهرب عقله من الواقع المادي، الحسي، من يسمو بوجدانه حتّى يتصل بخالقه.

ولكن وراء بلفظ بالرومانسية أكثر من كلّ هذه الخواطر، إنّ له مدلولا أعمق وأكثر جدية، "فالرومانسية" التي نريد أن نتحدث عنها هنا هي هذه المدرسة الأدبية التي ظهرت

---

[1] إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، 2003، ص117.

[2] عبد الوهاب الميسري: مختارات من الشعر الرومانتيكي الإنجليزي، ترجمه علي زايد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1989، ص07.

في القرن التاسع عشر، ليس في فرنسا فحسب، ولكن في معظم بلدان أوربا مثل إنجلترا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا".[1]

"دخلت عالم الأدب متأخرة وإذا قرأنا قول "ستندال" «فلنفهم جيدا أنّ كبار الكتاب كانوا جميعا رومانسيين في عصرهم وبعد مرور قرن على وفاتهم نرى أن الناس الذين كانوا يقلدونهم... هم الكلاسيكيون» فهمنا أنّ المقصود هو (الإبداعية) فحسب، أي أنّ الرومانسية هي وصف لكل إنجاز أو تيار يتجه إلى الإبداع ويرفض أتباع السائد ونفهم عندئذ معنى رأي سوريو الّذي يرى في المصطلح دلالة على مجرى جمالي عام ولا يتقيد بحدود عصر معين، ويؤلف نوعا من خاصة جوهرية أسلوبية تطلعنا في أوقات مختلفة واتجاهات فنية متنوعة، فهي تيار يمكن أن يظهر في كلّ زمان إذ لا يتعلق بمبادئ محددة دقيقة، بل بحساسية فقط". [2]

"الرومانسية "ديانة الفن" ومن حيث هي كذلك تحددت بوصفها نزعة فلسفية أدبية يتمتع فيها الفن بمنزلة سامية ليتحول معها في الآن نفسه إلى مركز النشاط الإنساني، ولعلّ هذا ما دفع "مارك شيرنغهام Marc Sherningham" إلى القول بأنّه «أينما كان الفن مجددا وجدت الرومانسية»".[3]

ثانيا- البداية والنشأة:

1- عن الغرب:

"ساد المذهب الكلاسيكي أوربا منذ القرن التاسع عشر حتّى أواخر القرن الثامن عشر، فتمتع بسيادة طويلة الأمد لم يحظ بمثلها مذهب من المذاهب بالأدبية التي خلفته، ثمّ قام المذهب الرومانتيكي على أنقاضه، على يد الأدباء والفلاسفة من دعاة التجديد طوال

---

[1] أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص03.

[2] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص91- 92.

[3] سيدي محمد ولد ديب: الجماليات الرومانسية راهينتها وحدودها، ط1، دار الآفاق العربية، مدينة نصر- القاهرة، 2006، ص29.

القرن الثامن عشر، وخاصة في النصف الثاني منه، فمهدوا الطريق أمام الرومانتيكيين الخلص فيما بعد، وكانت هذه الحملات في جملتها موجهة إلى الكلاسيكية في مبادئها الفرنسية، إذ كانت هذه المبادئ أوضح ما تكون في الأدب الفرنسي ومن فرنسا انتشرت إلى أكثر الآداب الأوربية".[1]

"كانت تسيطر على معظم الكتاب وعلى الشعراء خصوصا، الروح والتقاليد والأفكار والأذواق الأدبية المنبعثة في القرن السابق من أنسية عصر النهضة والتي استمرت منذ ذلك الزمن على ما هي عليه من محاكاة القدماء، فصل الفنون الأدبية، أولية العقل على الخيال، الطابع الشّخصي والجماعي والاجتماعي والأخلاقي في الأدب". [2]

"كانت الرومانتيكية في جملتها معارضة للمبادئ الكلاسيكية كما يتضح ذلك بمقارنتها في أسسها العامة، ففي الأدب الكلاسيكي كان العقل السلطان المطلق، ولهذا وصف بأنّه أدب عقلي...، العواطف والمشاعر الكلاسيكية كانت خاضعة كلّ الخضوع للعقل الّذي لم يكن ليدع مكانا لجموع العاطفة وجيشانها فكانت الخواطر تمر في مجال التفكير لتصفى وتهذب حتّى تخرج منطقية هادفة غير مشبوهة".[3]

"تفتحت في أوربا وأمريكا خلال ربع قرن تقريبا في أقصى نهاية القرن الثامن عشر إلى حوالي 1865، إنّها كالنار التي تشتعل أوّلا في بعض النقاط المتميزة، ثمّ تنتشر شيئا فشيئا بسرعة عظيمة، وبعد أن تلمع ببريق متفاوت تبعا لمختلف البقاع".[4]

قامت في إنجلترا أوّلا ثمّ في ألمانيا ثمّ في فرنسا ثمّ في إسبانيا وإيطاليا، يرجع نشوء الرومانتيكية عند كثير من النّقاد إلى ثلاثة عوامل:

---

[1] محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، (د ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت)، ص07.

[2] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، تر: صباح الجهيم، (د ط)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981، ج1، ص27.

[3] محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، ص08- 09.

[4] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، ص35.

أ- العمال الاجتماعي السياسي:

"كان القرن الثامن عشر في أوربا عصر زلزلة القيم وتبدل في الطبقات الاجتماعية، واستخفافا في المبادئ القديمة، وقد صعب هذه الحال بعض التحلل الخلقي وقامت إلى جانب هذه الزلزلة (في القيم والمبادئ والأخلاق) جهود معتبرة ترمي إلى التحرر السياسي والفكري والاجتماعي، وذلك على يد الطبقة البورجوازية المناقضة في رؤاها ومبادئها للطبقة الأرستقراطية، وكانت ثمرة هذه الحركات ظهور الثورة الفرنسية إلى الوجود (1789) التي ساعدت على تدعيم حرية الكاتب بإقرار مبدأ الحرية العامة."[1]

ب- العامل الفلسفي:

"وتمثل في دعوات الفلاسفة واهتماماتهم الكبيرة بالفلسفة العاطفية، ورد الاعتبار (Réhabilitation) إلى النفس البشرية، ومن أهم هؤلاء الفلاسفة "لوك" (Locke) الإنجليزي وكوندورسي (Condorcet) الفرنسي، إذ قرر أثناء حديثهم عن العواطف «أنّ النفس ليست سلبية بل عاملة، وأساس عملها منحصرا في الرغبة التي يثيرها القلق، وبها تتابع عواطفها وتحدد، وتتكاثر ومصدر الرغبة العاطفة».

إضافة إلى جهود كلّ من الفيلسوف الفرنسي "تيدرو" (1713- 1784) والفيلسوف الألماني "كانت" (1724- 1804)، إذ ثار هذا الفيلسوفان على فلسفة "أفلاطون" (نظرية المثل) وفرقوا بين الشيء الجميل النافع (أي طبيعة الجمال وحقيقته) ولا ننسى الدور الكبير الّذي لعبه كلّ من الفيلسوفان الألمانيان "فريديريك نتشه" و"شوبنهاور" (1860/1788) في إرساء دعائم الرومانتيكية ودفع عجلتها إلى الأمام بفلسفتهما التشاؤمية الحزينة". [2]

---

[1] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص65- 66.

[2] المرجع نفسه، ص66.

ج- العامل الأدبي:

"وتحدد خاصة في اكتشاف "وليام شكسبير" (1564- 1616) في القارة الأوربية من طرف فولتير (Voltoire) وذلك بعد مائة سنة من وفاته، ورغم عيش "وليام شكسبير" في الزّمن الكلاسيكي فقد خرج في كثير من الأحيان عن بعض خصائص الكلاسيكية كتجاوزه لقانون الوحدات الثلاث وعرضه على خشبة المسرح مناظر الحرب أو القتل والمزج بين المأساة والملهاة، وقد تأثر "فيكتور هيجو" (1802-1885) بفنيات "وليام شكسبير" المجددة، ودعا أصحابه من الرومانتيكيين إلى الاحتذاء به".[1]

د- المؤثرات الأوربية:

"منذ القرن الثامن عشر كانت ظاهرة العالمية أي هذا التبادل الثقافي والحضاري بين الآداب المختلفة عن طريق الترجمات وبفضل سفر الكتاب أنفسهم من بلد إلى آخر للتعرف على حضارة أو ثقافة البلاد الأخرى، كانت تلك الظاهرة في اوج ازدهارها وكان الإشعاع الفكري الفرنسي، ذا أثر عميق في كلّ أوربا، ومن ناحية أخرى كان كتاب فرنسا يبحثون عن المعرفة أينما يجدونها في إنجلترا، في ألمانيا، في إيطاليا، في إسبانيا، وحين نقف على أعتاب القرن التاسع عشر نرى أنّ حركة تبادل الثقافات هذه قد تعمقت أكثر فأكثر، قد علم اللغات الأجنبية وانتشار الترجمات والدراسات النقدية التي تقدم إلى الفرنسيين دور الآداب العالمية كلّ ذلك جعل تأثر الأدب الفرنسي بالأدب الأجنبي تأثرا قويا وفعالا."[2]

"تتجلى الحركة الرومانسية سواء أرافقتها ثورة جديدة بهذا الاسم أم لا في آداب الجنوب بشكل مستقل؛ فهناك القليل من التأثيرات المتبادلة أو أنّه لا تأثيرات البتة، لكن تأثير فرنسا يظل واضح المعالم، فهيمنة الأدب الفرنسي تستمر من خلال هذا الشكل الجديد، وتأتي التأثيرات الأجنبية المشتركة بين ألمانيا وإنجلترا وحدهما دون غيرهما

---

[1] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص06- 07.

[2] أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، ص13.

تقريبا من غوته وشيلر، وبيرون وسكوت ومن شكسبير خاصة، وتمر هذه التأثيرات بفرنسا على الأكثر لأنّ لفتها أكثر ذيوعا بكثير، وتلعب فرنسا هذه المرة أيضا كما فعلت ذلك على الأغلب في العصر السابق وكما ستفعل ذلك فيما بعد دور الوسيط الأدبي بين الشمال والجنوب."[1]

- **أثر فرنسا**:

"عندما يحاول مؤرخ الأدب أن يبحث عن أوّل بذور الرومانسية الفرنسية فربما يدهش من أنّه عليه أن يرجع إلى منتصف القرن الثامن عشر، هذا القرن الّذي يعرف عنه أنّه عصر الفلسفة والتنوير، هذا القرن الّذي رأى ازدهار الأفكار بصفة خاصة فحوالي عام 1850 تفجر نبع من الأحاسيس الفياضة أخذت مياهه تتغلغل وسط الأفكار الفلسفية فأضفت عليها الحرارة والحماس، فبعد أن كان كتاب مثل "مونتسيكو" و"فولتير" يؤمنون بالعقل قبل كلّ شيء ولا يستمعون إلاّ لتعاليمه وأوامره فإنّنا نرى كتابا آخرين مثل "ديدروه" و"جان جاك روسو" يعطون الأولوية للقلب.

كما أنّ "ديدروه" شديد الانفعال ذا حساسية مرهفة، يبكي كالأطفال من شدة الألم، أو عظيم الفرح كان يعبر دائما عن ذاته حتّى في الكتابات الفلسفية التي كانت تتطلب الموضوعية، فهو لا يمكنه إلّا أن يضع نفسه وقلبه وكل عواطفه في كلّ حرف يكتبه"[2].

"أمّا جان جاك روسو" فنجد عنده كلّ مميزات الأدب الرومانسي: التعبير عن الذات، حب الطبيعة، والتغني بجمالها الّذي هو أقوى برهان على وجود الله، كان "روسو" لا يجد السعادة إلاّ في أحضان الطبيعة بعيدا عن قسوة الناس كان يشعر أنه مضطهد من كل من حوله وبذلك فهو في الطبيعة يجد الحماية والطمأنينة بعيدا عن رياء المجتمع وزيفه، لقد كان يؤمن أنّ الإنسان ولد خيرا وطيبا، ولكن المجتمع هو الّذي يفسده، فعليه أن يعيش وحيدا وسط الطبيعة كي يعيش سعيدا، وفي الطبيعة أيضا كان "روسو" يلتقي

---

[1] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، ص218- 219.

[2] أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، ص06.

بالله- سبحانه وتعالى_ فجمال الطبيعة يمجد عظمة الخالق، ولذلك كانت الطبيعة الإطار البديع لقصص الحب التي يكتبها "روسو"، بل هي تتجاوب مع العشاق، فالشمس تشرق والطيور تغرد حين يكونون سعداء والسماء تتلبد بالغيوم، ويبكي حزنا إن افترق عاشقان أو تعذب قلبان". [1]

"أظهرت الحركة الرومانسية في فرنسا أكثر من أي بلد آخر طوابع ثورة أدبية حقيقية بما تجدد محتوى وأشكاله ومبادئه هذا الأدب الّذي غلبت فيه، بشكل أوضح في فرنسا منه في غيرها العناصر الجمالية والفنية على كلّ الاتجاهات السياسية والوطنية والدينية التي كانت الرومانسية في شطر منها تعبيرا عنها". [2]

- **أثر ألمانيا**:

"إنّ أثر ألمانيا على الرومانسية الفرنسية لا يقل أهمية، إنّ ترجمة رائعة "جوته فرتير" نالت إعجاب القارئ الفرنسي وأصبح بطل "جوته" نموذج للشباب الرومانسي الّذي يتعذب في حبه ويندب حظه في الحياة ويتوق إلى الخلاص من آلامه وإلى الانطلاق إلى عالم آخر مثل بطل "شاتو برنان"....، كما أثمرت أيضا مسرحية "جوته فاوست" على المسرح هو الكاتب الألماني الشهير "شيلر"، وقد كان لمدى "دوستال" الفضل في تعريف القراء الفرنسيين بأدب وثقافة وحضارة ألمانيا، وممّا ساعد ذلك ازدهار حركة الترجمة، فقد ظهر في فرنسا كتاب بعنوان: روائع المسرح العالي ترجمات لمسرحيات جوته وشيلر بجانب شكسبير وكالد يرون، كذلك ترجم إلى الفرنسية كتاب النّاقد الألماني المعروف "شليجيل" الّذي كان يقدم أيضا كتاب المسرح الألماني". [3]

---

[1] المرجع نفسه، ص07.

[2] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، ص219.

[3] أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، ص14.

"والرومانسية الألمانية في أدبها النثري اعطت أكثر أعمالها دلالة على العصر وتأثيرا في الخارج، فقد نشر "جان بول" في سنة 1800 أعظم رواياته وحكاياته نموذجية من وجهة النظر التي تبيناها هنا.

فهو رومانسي إلى أقصى حد بإحساسه الحاد بالمشهد الطبيعي الّذي يلعب فيه الخيال دوره ونبرته الحالمة المتقلبة التي تجد لذتها في الاستطراد والفوضى، وبمزاجه الساخر عن سذاجة وكل ذلك يكتسي أسلوبا ولغة تشخيص على أجرأ وجه". [1]

- **أثر إنجلترا:**

"أعطت "مدام دي ستال" كتاب إنجلترا مكانة خاصة في كتابها عن الأدب وهي معجبة بصفة خاصة بشكسبير الّذي سيكون له عظيم الأثر على المسرح الروماني، إنّ "دوماس" و"هوجو" و"فينير" يعتبرونه أكبر كاتب مسرحي ظهر في كلّ العصور، ويفضلونه على كتاب المسرح الإغريق مثل "أسطليوس" و"سوفو كليس" و"أرييدس" اللذين كانوا المثل الأعلى لكتاب المسرح الكلاسيكي.

أمّا "شاتو بريان" الّذي عاش في لندن عدة سنوات عندما كان دبلوماسيا، فإنّه شديد الإعجاب بـ "ميلتون" و"أرسيان"، كما أنّ شعراء الرومانسية الإنجليزية مثل "بابرون" و"شيللي" و"كيتس" و"وذورث" و"كولويردج" في معاصريهم من شعراء الرومانسية الفرنسية، أمّا في مجال الرّواية فإنّ أثر "ولتر سكوت" لا يمكن إغفاله فإنّ "هوجو فينيه" و"دوماس" قد حذوا حذوه عندما كتبوا رواياتهم التاريخية". [2]

"إنّ الرومانسية الإنجليزية التي لم تتسم بهذا الاسم إلّا نحو أواخر بالقرن التاسع عشر، معاصرة للرومانسية الألمانية وقد سبقتها، مثلها مثل الرومانسية الألمانية حركة

---

[1] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، ص182.

[2] أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، ص13- 14.

مؤذنة بالرومانسية نظرية وفنية معا، تصدت لهدم المذهب الكلاسيكي كي تحل محله أفكار أدبية جديدة. [1]

كما أنّ الإنجليز لا يحبون النظريات المجددة أكثر من حبهم للثورات، فلقد اكتفى دائما رومنسيوهم بإنتاج ذات قيمة عالية، وهي آثار كانت تفترض ضمنا مفاهيم جديدة عن الأدب وعن الشعر خاصة". [2]

أثر إسبانيا:

"كان هناك أكثر من نقطة تقارب بين الأدب الإسباني والرومانسية الفرنسية، عرف القارئ الفرنسي القصص الشعبية الإسبانية القديمة حين ترجمت إلى الفرنسية مجموعة هذه القصص، وهي تسمى "رومانسيرو" وكذلك قرأ ترجمة قصّة "سرفانس" الشهيرة "دون كيشوت" (وقد عاش هذا الكاتب بين القرنين السادس عشر والسابع عشر)، كما نجد أنّ أحداث أشهر مسرحيات "هوجو هرناني" و"روي بلاس" تدور في إسبانيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، أمّا الكاتبان "جونيه" و"دوماس" فهما يصفان في كتاباتهما رحلتهما في إسبانيا، لكن الأدب الإسباني المعاصر (أي الّذي نشر في القرن التاسع عشر) لم يؤثر في الرومانسية الفرنسية، كما أثر فيها كتاب إنجلترا وألمانيا وإيطاليا". [3]

ترتسم الحركة الرومانسية في إسبانيا حوالي 1820، لكنّها لم تتضح إلّا بدء من 1830 بتأثير الرومانسية الفرنسية التي عرفت في إسبانيا على يد مهاجرين سياسيين عادوا إلى وطنهم بعد 1833 ونشروا مؤلفات كتبوها أو أعدوها في المنفى، وحوالي 1850 ينضب الإلهام الأصيل وتظهر بين الأقوال المكررة المعادة محاولات لفن جديد". [4]

---

[1] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، ص183.

[2] المرجع نفسه، ص184.

[3] أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، ص16.

[4] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، ص252- 253.

- **أثر إيطاليا**:

"وجد القارئ الفرنسي أثر إيطاليا في رواية "مدام دي ستال كورين"، لقد عرفت الكاتبة الشاعرين "مونتي" و"ألفيري"، وهما من شعراء الرومانسية الإيطالية، مثل "بابرون" في إنجلترا، أمّا عن شعراء الماضي اللذين كان لهم عميق الأثر على شعراء الرومانسية فمنهم "دانتي" و"بترارك" (من كتاب القرنين الثالث عشر والرابع عشر) كان لا مرتين مغرما بأشعار "بيترارك"، بينما نال "دانتي" إعجاب الجميع، وهم يعتبرونه من أعظم شعراء أيطاليا والإنسانية جمعا، أم الشاعر الإيطالي "ليو باردي" هو من الرومانسيين المعاصرين للرومانسية الفرنسية، فقد أثر بصفة خاصة على "ألفريددي موسيه" وسيظل أثره حتّى عام 1850 وكانت أشعاره يغلب عليها طابع الحزن، فقد كان يؤمن مثل "موسيه" أنّ الالم والعذاب يوحيان إلى الشاعر بأجمل أشعاره، أمّا في مجال المسرح، فمن كتاب المسرح الإيطالي المعاصر المرموقين الكاتب "مانزولي" الّذي كان يقدم مسرحياته في نفس السنوات التي قدم فيها كتاب المسرح الفرنسي مسرحياتهم، ومن الكتب التي ترجمت إلى الفرنسية ونالت إعجابا شديدا كتاب "سيلفيو بيليكو" الّذي كتب وهو في السجن، وقد تأثر القراء لمأساة هذا الكاتب الّذي قضى تسع سنوات من عمره بين جدران السجن دون أي ذنب اقترفه ولمجرد أنّه كان أحد المساندين لحركة توحيد إيطاليا.

لقد كان القراء في فرنسا يبدون اهتمامهم بالحركة الوطنية الإيطالية ويؤيدونها، أي أنّ الأحداث التي كانت تدور في هذا بالبلد المجاور لهم كانت تثير رد فعل عند الفرنسيين، وهكذا نرى أنّ حركة الترجمة ومعرفة اللغات الأخرى كانت قد قربت بين البلدان وألغت الحواجز والحدود".[1]

---

[1] أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، ص15- 16.

"حوالي منتصف القرن أخذت تتجلى ردة فعل شكلية على وجه الخصوص، ومن هنا نرى أنّ الرومانسية الإيطالية موازية إجمالا للرومانسية الفرنسية عصرا وتطورا عاما".[1]

كانت ميلانو أكثر انفتاحا للتأثيرات الفرنسية والألمانية، وكان يمر بها أو يقيم فيها كتاب اجانب مثل "دي ستال"، "بيرون"، ستندال"....[2]

«وخلافا للمقاربات الفلسفية لمفهوم الفن، نجد أنّ السمو بالفن إلى مستوى المعرفة القصوى لم يتحقق إلّا مع ظهور نظريات فلاسفة الجماليات الرومانسية، فمع هذه الجماليات لم يعد الأثر الفني تشويها للحقيقة أو محاكاة للنموذج كما هــو الحال مع الجمالية الكلاسيكية، ثمّ إنّه لم يعد معزو لا عن الحقيقة مثلما أكد على ذلك "البراد" يغم الجمالي النّقدي عندما ذهب إلى أنّ الفن مثل الفلسفة للحقيقة ذاتها» بحيث أصبح بالإمكان الحديث عن حقيقة فنية وعن قدرة الفن ذاته عن الكشف عن الحقيقة التي كانت الفلسفة تدعي وحدها القدرة على إظهارها". [3]

"ترتبط الرومانسية التي اهتمت بالقلب، بعصر التنوير الّذي اهتم بالفعل ارتباطا وثيقا، فالقمة التي وصل إليها عصر التنوير في فلسفة "كانط" العقلية هي التي تبعث منها الحركة الرومانسية، فأثرت بشدة في الفكر بجميع مجالاته على نحو ما ظهر بوضوح في القرن التاسع عشر في فلسفات "فشته" و"شليجل" و"هيجل"، وفي مجالات الأدب "جوته"، و"شلر" و"هردر" "ونوفاليس" والأخوين "شليجل".... الخ، فضلا عن "نابليون" في السياسة و"فانجر" في الموسيقى، وقل مثل ذلك في لإنجلترا "لورد بيرون" و"شللر" و"كولولردج" و"ردزورث، وغيرهم.

---

[1] بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، ص239.

[2] المرجع نفسه، ص242.

[3] سيدي محمد ولد ديب: الجماليات الرومانسية راهنيتها وحدودها، ص13.

باختصار ظهرت أسماء لامعة في كافة الفنون وفي جميع البلدان الأوربية، في ألمانيا وفي بريطانيا وفي فرنسا وإيطاليا...." [1]

"جاءت الحركة الرومانسية تفي الأدب الأوربي تعبيرا عن مرحلة حضارية انتقل فيها المجتمع الأوربي من نمط من أنماط الحياة إلى نمط جديد يناقضه ويكاد يضع حدا حاسما بين عالمين مختلفين، في أعقاب الانقلاب الصناعي وحروب نابليون، وقد شمل التحول كلّ مظاهر الحياة في السياسة والاجتماع والأخلاق والمدينة والأدب والفن، وانتقل الأدب من مرحلة عرفت بـــ"الكلاسيكية الجديدة" إلى مرحلة عرفها النّاس باسم "الرومانسية". [2]

"الرومانتيكيون في أدبهم لا ينشدون الحقيقة التي تواضع عليها النّاس وأقرها المنطق السائد، ومهما تكن من صلة بين أدبهم والحياة الواقعية فهي صلة الحالم المتحرر من حقائق المجتمع، وممّا يقدسه ذلك المجتمع من تقاليد، لأنّه يعيش في عالم لا مادي له سوى القلب والعاطفة، «فالصور الأخيلة الأصلية التي تستخدمها لغة الأحلام ولغة التنبؤ الشعري توجد في الطبيعة التي تحيط بنا، والتي تظهر كأنّها عالم من أحلام مجسمة، أو لغة نبوية تتجلى رموزها الهيروغليفية موجودات وصور، فالحقيقة التي ينشدها الرومانتيكي ذات طابع ذاتي، أسيرة لخيال الكاتب وعاطفته المشبوبة وتتبدى في ثوب جديد ثائر، وقد لا يجحد الكلاسيكي الحقيقة الفردية، إذ يلعب الخيال والشعور دورهما في بعض أشعاره في المآسي المسرحية أو في الشعر الوجداني على قلته نسبيا في الكلاسيكية». [3]

---

[1] دونكان هيث: الرومانسية، تر: عصام حجازي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص06.

[2] عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د.ط مكتبة الشباب، القاهرة، 1988، ص10.

[3] محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، ص10.

2- عند العرب:

"لقد شهد القرن الثامن عشر تغييرا كبيرا في الأفكار الأوربية، وشهد زوال الإقطاع وبداية التحول الصناعي، وقد برزت الطبقة الوسطى في الحياة العامة وتطلعت إلى تغيير القوانين الاجتماعية لرعاية مصالحها ومن هنا كان الاتجاه إلى بالرومانسية ليس مجرد تعبير عن مذهب أدبي، بل هي تعبير عن نظام اجتماعي وموقف ثقافي عام، وهي مرتبطة بمبادئ الثورة الفرنسية عام 1789 من التحرر والعدل والإخاء والمساواة.

وهذا التغير أدى إلى قيام الثورة الفرنسية والتبشير بالرومانسية، كان يستند إلى فلسفة "جاك روسو" (1722- 1778) و"فولتير" (1694- 1778)".[1]

"نجد نزعة فلسفية واضحة تمتد لا لتجرف الأدب في تيارها، بل تتعدى ذلك إلى البحوث الذوقية الجمالية الصرف، ومنذ أواخر هذا القرن وفي القرن التاسع عشر، تظهر الرومانتيكية وتنتشر، وكان بعض النقاد يصفها بأنّها (مرض العصر) وهو مرض لم يتأثر به الأدب وحده، بل كان طابعا عاما للعصر كله.

وعن الأدب الرومانتيكي بوصفه أدب العاطفة والخيال والتحرر الوجداني، والفرار من الواقع والتخلص من ربقة الأصول الفنية التقليدية للأدب، والأدب الرومانتيكي يمثل "روح" الثورة والتمرد والانطلاق والحرية".

وقد استمرت الرومانتيكية تحتل الميدان حتّى نهاية النصف الأوّل من القرن التاسع عشر".[2]

"وقد أثرت الحركة الرومانسية في الغرب تأثيرا عنيفا على الأدباء والنّقاد العرب في الربع الأوّل من القرن العشرين، وكانت مدرسة المهاجر الأمريكية سبق المدارس إلى التأثر بالرومانسية واتخاذها مذهبا أدبيا تغير به الوجه التقليدي السائد في الشعر العربي،

---

[1] عبد العاطي شلبي: فنون الأدب الحديث (بين الأدب الغربي والأدب العربي)، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005، ص07.

[2] عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، ط9، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، ص30.

وقد نادت هذه المدرسة بالعودة إلى الطبيعة والنفور من حياة المدنية والثورة على التقاليد والشرائع، وغمرتها الرموز الصوفية والنزعة العاطفية، والكآبة والألم ومشاعر الحنين الطاغي، ودعت إلى الاهتمام بالمضمون دون الشكل، وحطمت القالب اللّغوي والجزالة المأثورة."[1]

"زاد اتصال العرب بآداب الغرب، عن طريق الترجمة والبعثات العربية إلى جامعات أوربا، والمستشرقين والأساتذة الغربيين اللذين عملوا في الجامعات العربية وعنوا بنشر الأدب الغربي بين الشباب العربي، وبخاصة آداب "شكسبير" "وشلي" "وهوجو" "وموباسان" "ولامارتين" "وأناتول فرانس"، "وألفريد دي موسيه" "وجوته"، وكذلك عن طريق المدارس الأجنبية التي أنشأت في ربوع الشرق العربي.

وصبغ المنفلوطي (المتوفي عام 1924) النثر العربي الحديث بصبغة رومانسية واضحة تتجلى في آثاره المشهورة، ومن بينها: النظرات- العبرات- الفضيلة. [2]

إنّ الرومانسية لم تكن ثورة على مصادر الاستيحاء والمحاكاة الكلاسيكية ولا على أصول تلك الكلاسيكية وقواعدها فحسب، بل كانت ثورة على كافة القيود الفنية، وأصول الصنعة الأدبية، حتّى يمكن القول بأن الرومانسية قد كانت حالة نفسية وتعبيرا عن تلك الحالة أكثر من كونها مذهبا أدبيا أحل أصولا فنية محل اصول أخرى، وذلك لأن جوهرها كان التحلل من كلّ الأصول والقيود والتخفف من أغلالها، لكي تتحرر العبقرية البشرية وتنطلق على سجيتها، وكان الشعر والأدب عندها تغريد طائر أو خرير ماء أو دوي رياح أو قصف رعد، لا يخضع لقواعد ولا يصدر عن صنعة مقصودة أو نشاط ذهن وعمل إرادة، وضابطها الوحيد هو هدى السليقة وإحساس الطبع"[3]، "وذلك لأنّ الرومانسية ليست كما قلنا مذهبا أدبيا دعا إليه الكتاب أو اصطنعوه اصطناعا، وهي على النقيض

---

[1] عبد العاطي شلبي: فنون الأدب الحديث (بين الأدب الغربي والأدب العربي)، ص15.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ج1، ص40.

[3] محمد مندور: الأدب ومذاهبه، ص60.

خروج على كلّ مذهب وتحطيم لكل قيد، وإنّما هي حالة نفسية ولدتها الثورة وما تلاها من مجد نابليون من انهيار ذلك المجد، أصبحت بعد ذلك مذهبا عند المقلدين الّذي طوى الزّمان ما أجهدوا فيه أنفسهم من سخف مصنوع".[1]

كانت الرومانسية انعكاسا لحالة التوثب والقلق التي ميزت العقد الأوّل من القرن العشرين، ويمكن أن يقال إنّها كانت إعلان لدخول العالم العربي فكرا وشعورا في العصر الحديث".[2]

"كانت الأمة العربية قد عادت تتململ باحثة عن ذاتها، ساعية إلى حقها في الحياة الكريمة، وهذا التحرك الّذي بدأ قبل مجيء الحملة الفرنسية أصبح له الآن تعبير فردي واضح تجسد في أدب رومنسي ولم يكن للرومانسية طابع واحد في العالم العربي، بل اشتملت على اتجاهات متعارضة أحيانا، وليس بمستغرب من تاريخ الرومانسية، ولأي مذهب آخر في الآداب العالمية".[3]

"إنّ الإعجاب بالأدب الرومانسي الغربي ونشره كان جليا، فقد ترجم حافظ إبراهيم (البؤساء) لفكتور هيجو وترجم المنفلوطي عدة قصص مثل (بول وفرجيني) لبرناردان دي ساربيار، وترجمت رباعيات 1913 وكثير من القصائد لامارتين ودي موسيه ودي فيني، وبودلير وبرودوم وفاليري.

"وفي الجزائر كان رمضان حمود يدعو لفهم جديد للشعر والاحتكاك بأدب الغرب الرومانسي ونشر قصيدة للاموني (المنفي) كما نشرت مجلة (هنا الجزائر) التابعة للإذاعة الفرنسية عدة أعمال رومانسية لفيكتور هيجو خاصة، ونشر إسماعيل العربي ترجمة

---

[1] المرجع نفسه، ص64- 65.

[2(2)] شكري عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م، ص93- 94.

[3] المرجع نفسه، ص94.

لقصيدة شيللي (أنشودة الريح الغربية)، والمهم أنّ حركة نقل الأدب الرومانسي من الغرب ومن لبنان إلى المغرب العربي كانت توجها ونشاطا عاما". [1]

"يزعم إسماعيل أدهم أنّ مطران كان رائد التيار الرومانسي في الشعر العربي، فهو يقول أنّ مطران كان رومانسيا في نفوره من الموضوع التقليدي وفي استحداثه الشعر القصصي والشعر التصويري، يستعمل أدهم عبارة "رومانسي" هنا ليشير إلى أي موقف يبتعد بشكل واضح عن الوضع الشعري التقليدي، وهو يتحدث هنا عن الجرأة والطرافة في استخدام مطران هذه الموضوعات"[2].

كلّ ما نود التنبيه إليه هو أنّ الرومانتيكية، صورها ومصطلحاتها وموضوعاتها الأساسية، متغلغلة في التفكير الغربي وأنّها وجدت طريقها إلى تفكيرنا نحن وإلى حضارتنا الحديثة بين العامة والخاصة، والدارس للأنا في العربية الشعبية يعلم مدى تغلغل المصطلح الرومانتيكي في لغتنا وربما وجداننا ذاته[3].

ثالثا: مبادئ الاتجاه الرومانسي:

1- الطبيعة: ليست الطبيعة عند الرومنطيقي مساحة جغرافية فحسب، بل أيضا ملاذ وصديق مخلص، يهرب إليها كلّما اشتدت عليه وطأة الأحزان والهموم، وكلما أرهقته ضوضاء المدينة ومتاعب المجتمع في أحضانها يستريح ويمتع نظره بمشاهدتها الجميلة المتنوعة، ولئن بدت في معظم الأوقات حزينة كئيبة، فلانه يسقط عليها احزان نفسه ويلونها بمشاعره وأحاسيسه. إنّها حي الحرية والراحة والجمال بجبالها وسهولها وأنهارها وينابيعها وأشجارها وصخورها نكاد لا نقرأ قصيدة أو رواية رومنطيقية إلا ونعثر فيها على وصف الطبيعة حتّى لو كانت صحراء قاحلة، لأن خيال الرومنطيقي الخلاق يعرف

---

[1] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص93.

[2] سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، (د ت)، ص90.

[3] عبد الوهاب الميسري: مختارات من الشعر الرومانتيكي الإنجليزي، تر: محمد علي يزيد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1989م، ص03.

يلونها، وأن يسكب عليها دفقا من ذاته، فيخرجها مفعمة بالإنسانية، وكأن بينه وبينها علاقة وجدانية حميمة هي حكاية عمر من الألفة والصداقة". [1]

"التمسوا العراء والسلوى في الطبيعة التي تمثل في نظرهم العالم الّذي لم تفسده المدينة والقوانين، إنّها الغاب كما سماها بعضهم، أي المرحلة الموافقة للفطرة والبداءة". [2]

"وقد لا نجد من لا تسحره الطبيعة بمناظرها الخلابة، واختلاف ألوانها وحركاتها، ولكن اللذين يجدون في كلّ شيء فيها قصّة رائعة قلائل جدا". [3]

"الشاعر عن الرومانتيكيين يستعين على جلاء بالصور في الشعر بالطبيعة ومناظرها على أن يراعي صنوف التشابه التي تربط ما بين صور الطبيعة وجوهر الأفكار والمشاعر، حيث لا يقف هذا التشابه عند حدود المظاهر الحسية، وفي هذا رجوع إلى محاكاة الطبيعة في إخراج الأفكار الذاتية صورا طبيعية". [4]

"اتخاذها إطارا للمشاهد القصصية وموضوعا موحيا، فقد اكتشف الرومانسيون ما في الطبيعة من الجمال والعظمة ولاسيما الأجواء العاصفة والبحار الهائجة والجبال الشامخة الجبارة والغابات الغامضة، والليالي المظلمة والأطلال البائدة، وأخلدوا إلى ما في الطبيعة من سكون ووحشة وعزلة، ورأوا فيها روحا وحياة متجددة فناجوها كأم رؤوم وحبيبة معشوقة". [5]

---

[1] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، (د ط)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2005، ص295- 296.

[2] فايز توحيني: الدراما ومذاهب الأدب، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988م، ص180.

[3] عبد الدايم الشوا: في الأدب المقارن دراسة تطبيقية مقارنة بين الادبين العربي والإنجليزي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص91.

[4] محمد غنيمي هلال: النّقد الأدبي الحديث، (د ط)، شركة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2004م، ص292.

[5] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب (مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامه)، (د ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ص63.

"الدعوة إلى الطبيعة هو شعار رومانسي أصيل إلى العيش على وفاق معها، واتخاذها معلما وهاديا، في كلّ مظاهرها، واعتبارها مجلي الجمال الحق والخبرة الصحيحة، إنّ الحياة هي الأصل والطبيعة مهد الحياة الحق ولا شيء يعوض الإنسان إذا ابتعد عنها، وفي هذه الدعوة حافز واضح في الاستسلام للمشاعر وتغذية الروح بالجمال الخالد ونبذ الجمال العقلي الرتيب الّذي يأتي عبر الكلمات المصنوعة". [1]

"كان شعراء الرومانسية في الغرب يهيمنون بالطبيعة ويرتمون بين أحضانها لاجئين إليها محاولين العثور على الطمأنينة والهدوء والبحث عن الأمن بين ربوعها مبتعدين بذلك عن العالم المادي وعالم المدينة- على وجه التحديد- هاربين من شرور هذا العام إلى صفاء الطبيعة ونقائها.

إنّنا نستطيع أن نجزم أنّ شعراء الرومانسية عموما كانوا يلجؤون إلى الطبيعة ويستلهمون العزاء فيها، من هؤلاء الشعراء الإنجليزي "كولريدج" الّذي كان يرتمي بكيانه كله بين أحضان الطبيعة فيجعلها قبته ومعبده فيقول: «إنّ لعالم السموات تأثيرات عذبة، سأبني معبدي في الحقول، وسأجعل قبتي السماء الزرقاء، وشذى الزهرة البرية البخور الّذي ازجيه إليك يا إلهي». [2]

2- **العاطفة**: "الرومانتيكيون يجحدون ذلك الاتجاه العقلي الّذي مجده الكلاسيكيون، ويستبدلون به العاطفة والشعور، وهم يسلمون قيادهم إلى القلب لأنّه منبع الإلهام والهادي الّذي لا يخطئ إذ هو موطن الشعور ومكان الضمير والضمير عندهم قوة من قوى النفس قائمة بذاتها وهو غريزة خلقية تميز الخير من الشر عن طريق الإحساس والذوق". [3]

---

[1] محمد حسن عبد الله: مداخل النّقد الأدبي الحديث، (د ط)، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص89.

[2] أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ص108.

[3] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، (د ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص34.

"إنّ هناك أفكارا صحيحة لا حصر لها، ولا سبيل إلى وصولهم إليها، لأنّها محصورة في نطاق العاطفة، حتّى ليمكن أن يقال: «إنّ القلب له أفكاره الخاصة به»".[1]

"الاتجاه إلى القلب بما يجيش فيه من المشاعر الملتهبة والأحاسيس المرهفة، والعواطف والأهواء والقلق والاندفاع غير المحدود نحو الجمال والتمرد على القيود والتشكيلات الاجتماعية، ولدى عودة الرومانسيين إلى الذات أصبح الفرد محور الأدب الإنساني الكلي وتضخمت النرجسية ونما أدب البوح والاعتراف". [2]

"يقول الشاعر "بليك" في قصيدته "رؤيا يوم الحساب": «وأنّ النّاس يدخلون الجنة لا لأنّهم قمعوا عواطفهم وتحكموا فيها، لأنّهم بلا مشاعر، وإنّما هم يدخلونها لأنّهم قد هذبوا مداركهم، لأنّ كنوز السماء ليست مرهونة بانعدام العواطف، وإنّما هي حقائق فكرية تنبعث منها كلّ العواطف بلا حواجز في مجدها الأبدي».

هكذا كانت الرومانسية حريصة على التعبير عن العواطف وعن المشاعر ممّا أدى إلى نشاط طاقة التخيل لدى الشاعر وأهمية التصوير والتعبير". [3]

"ثار الرومانتيكيون على الغاية الخلقية للأدب في حدودها السابقة، ورأوا أنّ الأدب استجابة للعواطف، وهذه العواطف ليست شرا، بل هي الخير كله، لأنّها مجال الجمال النابع من الضمير، وقد صوروا في أدبهم عالم الجمال في أحلامهم، يريدون أن يثوروا به على شروط المجتمع من حولهم، وكانوا يبكون في يسر وسهولة رحمة على المظالم وضحاياها، ومطلقين العنان لعواطفهم وأحلامهم".[4]

3- الإحساس بالغربة والألم والتعاطف مع البؤساء: "الرومانسي يبدو أحيانا إنسانا بائسا ضعيفا في مواجهة الصعاب، خصوصا إذا وصل به اليأس إلى حدود احتقار الحياة وطلب

---

[1] المرجع نفسه، ص35.

[2] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص61.

[3] محمد حسن عبد الله: مداخل النّقد الأدبي الحديث، ص86- 87.

[4] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص38.

الموت عمدا بالانتحار، والإحساس بالألم هو السبيل إلى معرفة الله، ومعرفة حكمة الحياة وعدالتها، خصوصا أنّ الجهل والترف والعافية والنوم والطعام والشراب قد تسعد الإنسان الفاضل، لكنّها لا تخدع العاقل، لأنّ تعاسته في جسده، بل في روحه، لذلك كان الألم حافزا على التفكير، يتفرغ له الرومانسي في الوحدة فيسقم ويعتريه الشحوب ولكنه في نهاية المطاف يجد الله فيعانقه ويحيا في جواره".[1]

"أحس الرومانسي بالقلق وشعر بالحزن، ممّا حدا به إلى الهروب إلى الطبيعة أو إلى إله عاطفي أو إلى داخل نفسه، يفتش عن ذاته التي عاشت عزلة وانطواء، فعاش في غربة نفسية داخل عالمه الخاص الّذي كان يميزه عن سواه، لكن غربته تلك قادته إلى فلسفة قوامها أنّ الإنسان عندما تتزايد حدة شعوره بالدناءة البشرية، كان يسعى إلى وسيلة للمعالجة الإيجابية، فيفرض على نفسه ضروبا من التضحية، وينزل بها ألوانا من الآلام والعذاب التي سرعان ما تتحول إلى كصدر لأفراحه وملذاته النفسية، كونها الوسيلة الوحيدة لقهر عيوب الجسد والقلب والنفس ومدعاة لمرضاة الله. [2]

4- **الحزن والمأساة**:

"غلبة الكآبة مشاعر الحزن والصراع النفسي الدرامي وشيوع نغمات البكاء واليأس والانفصام عن المجتمع والشعور بهشاشة الحياة ودنو شبح الموت، لكنّه الموت الحنون المخلص لا الموت المخيف". [3]

"لا تخلو رومنسية "آلان بو" من مسحة حزن، إذ الحزن في رأيه بداية الكمال وإذا كان الحزن يترتب على الموت فإنّ الموت من ثمّ طريق الكمال، ومن هنا ارتبط الموت في أعماله بالحب لأنّه يساعدنا على التحرر من النقص".[4]

---

[1] فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، ص178.

[2] المرجع نفسه، ص178.

[3] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية عند الغرب، ص64.

[4] فايز علي: الرمزية والرومنسية في الشعر العربي، ص34.

"غلبت روح التشاؤم على التيار الرومانسي حتّى صارت تعد أحد أهم مميزاته وغلب الأنين والبكاء على كلّ صوت عداه، وأنّ الشاعر الرومانسي يبدو روحا رقيقة شديدة الحساسية، متعلق بأعماق ذاته، يستجيب بقوة لمظاهر الانسحاق واللاإنسجام التي يقع عليها في واقعه، وسط الآلام والشرور، وفي علاقاته (الصداقة والحب....) وفي حتمية الموت والفناء".[1]

5- الخيال:

"اهتمام الشاعر الرومانسي بالخيال والصور الشعرية التي تجسد خيال الشاعر بدرجة تأذن لنا بأن نعد هذه العلاقة بين الخيال والصورة في بناء القصيدة جوهر النظرية الرومانسية في الشعر.

في التأليف العادي أو غير الأدبي يتجه القارئ فيه بسرعة نحو النتيجة العامة، إنّه يريد الخلاصة، يسوقه حب الاستطلاع أو الرغبة الموثبة في الوصول إلى الحل النهائي دون أن تجتذبه الأجزاء المكونة لهذا التأليف، إنّ ما يحدث في التأليف الأدبي هو النشاط الممتع لعقل استثارته جاذبية الرحلة ذاتها وهذه القدرة خاصة أو هي في كمالها متحققة في الشعر، فالشعر يدفع روح الإنسان من كلّ أطرافه إلى النشاط، إنّه يرتب، ينسق، يتصاعد، يصنع في النهاية كلا منصهرا بقوة الخيال في كيان مجسد هو القصيدة". [2]

تقديم الخيال على العقل وتفضيله على التحليل النّقدي والهروب من الواقع، والالتجاء إلى الحلم وطلب الانفتاق والرحيل عبر المكان بريادة البلدان البعيدة، أو عبر الزّمن بالارتداد إلى القرون الغابرة". [3]

---

[1] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص100.

[2] محمد حسن عبد الله: مداخل النّقد الأدبي الحديث، ص91- 92.

[3] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص157.

وتردد "مدام دي ستال" وهي أوّل داعية للرومانتيكية بقولها: «في داخل كلّ امرئ مشاعر ذاتية فطرية لا اكتفاء لها بالأشياء الخارجية، وخيال الرسامين والشعراء هو الّذي يكسب هذه المشاعر صورة وحياة».[1]

"وجد الإيمان المطلق بالخيال، وبلغت نظرية الخيال الشعري ذروتها عند كلّ الشعراء والمفكرين الرومنطيقيين، فقد آمن هؤلاء أنّ كلّ صد لهذه القوة الخالقة قتل للقوة الحيوية في الإنسان، وأنّ الشعر لا يكون في أقوى حالاته إلّا إذا أرخى لهذه القوة الزمام.

أقام "فشته" مثاليته" على سمات الخيال المنتج، وذهب "شلنج" إلى القول بأنّ الفن هو الّذي يدخلنا إلى معبد تحوم حوله بقية فروع المعرفة، أمّا الفلسفة فإنّها تفر بنا في ساحة ذلك الحرم، ومضى الشعراء الرومنطيقيون على هذا النحو في تمجيد الخيال، فكان "بليك" يرى أنّ الخيال قوة إلهية، وأنّ كلّ شيء حقيقي يصدر عنها، أمّا "كيتس" الّذي كان أكثر تعاطفا مع عالم الحس، كان "كيتس" يرتفع إلى عالم آخر، ومن خلال الجمال يبلغ الحقيقة القصوى، وكذلك كان الخيال عند غير هذين من الشعراء الرومنطيقيين، وإن تفاوتت النظرة بعض التفاوت. [2]

6- التمرد:

تمرد الرومانسيون على جميع الأنظمة والقواعد والقوانين والمواضعات الاجتماعية والأحكام المسبقة وراحوا ينشدون الحرية الفكرية والأخلاقية والانعتاق اللانهائي، ومع هذا التمرد والتحرر الكان يوجد بناء لعالم جديد قوامه الحق والخير والعدل والمساواة، وأنّ رسالتهم كما يقول "لامارتين" الهدم في صالح التقدم البشري، ومن أبرز شعراء الثورة والتمرد "بايرون" و"ودزورث".

---

[1] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص303.

[2] إحسان عباس: فن الشعر، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1996م، ص124- 125.

فالرومانسية إذن وجهها الإيجابي في تجديد الأفكار والمعايير الأخلاقية وتغيير عوالم السياسة والدين والمجتمع والفن". [1]

"قد يمضي التعاطف مع البؤساء والمضطهدين إلى مدى أبعد فنجدهم يمجدون التمرد ولو على القدر، فيثورون عليه من الناحية الميتافيزيقية، وعند بعضهم يظهر الشيطان في تمرده في صورة المعذور، لأنّه طرد عن الخير، وكان طرده بقرار قدري هو فيه ضحية (كما يرون) فدفعه اليأس إلى رد الشر بالشر وإلى الإدمان عليه". [2]

"لم يقبل الرومانسي الضغوط التي تمارس عليه وسار متحررا في أفكاره غير آبه لسلطة أو أوامر".

"يحلمون في أدبهم بعالم تزول فيه الفواصل الظالمة، ومهما تكن من صلة بين أدبهم والحياة الواقعية، فهي صلة العالم المتحرر من حقائق المجتمع، وما يقدسه من تقاليد لا مبرر لها، وعندهم أنّ الإنسان المتوحش في الأدغال والفطري في الأكواخ كلاهما أقرب من الفضيلة من المتدنين الّذين انغمسوا في حياة المجتمع ورذائله". [3]

"تشترك التيارات الرومانسية في رفض التقليد والتزام القيود وتدعو إلى الإبداع والتحرر، لا عن طريق المجاراة للقديم المطروق والعبودية للرواشم المحفوظة والتقديس للتقاليد الموروثة". [4]

قد صوروا في أدبهم عالم الجمال في أحلامهم يريدون أن يثوروا به على شروط المجتمع من حولهم، وكانوا يبكون في يسر وسهولة رحمة على المظالم وضحاياها مطلقين العنان لعواطفهم وأحلامهم.

الثورة الرومانتيكية لابد لها من اشتراك جمهور حائر مرتاب، يفاجئه الكاتب ويزلزله ويوقظه عنوة، بما يوحي إليه من أفكار وعواطف كان يجهلها ولم ترسخ عقيدته فيها، فهي لذلك تتطلب تلقيحا وإخصابا". [5]

"ولم يعبأ الرومانتيكيون بما استقر في المجتمع من عقائد وأفكار لا مبرر لها دينيا أو سياسيا، وكان كلّ شيء في أدبهم موضع تساؤل، وبذلك ساعدوا في شبوب عواطفهم

---

[1] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص62.

[2] محمد حسن عبد الله: مداخل النّقد الأدبي الحديث، ص90.

[3] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص27.

[4] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص98.

[5] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص38.

وعالم أحلامهم على نشر العدل الاجتماعي وهدم الطبقات الطفيلية، ويسروا الطريق أمام الطبقة الوسطى لتملك مقاليد الحكم".[1]

7- النزعة الذاتية (الفردية):

"بروز الفردية وتضخمها وانتفاضتها على الموضوعات الكلاسيكية وأصولها، وعبادة الذات والمغالاة في عرض شؤونها".[2]

"كان الأدب الرومانتيكي أدبا ثائرا، يهتم بصالح الفرد ويعتد به وينتصر له ضد مظالم المجتمع، وكان ذا طابع إنساني شعبي في اختيار أشخاصه وموضوعاته، تم التحدث عن المشاعر والعواطف الفردية، والتعبير عن الآمال العامة للطبقة الوسطى، وكان لهذا الاتجاه نتائج ثورية خطيرة تمس قضايا الدين والمجتمع والطبيعة والعاطفة بعامة، ثمّ كانت له كذلك نتائج فنية تمس الأدب".[3]

"ضاق الرومانتيكيون ذرعا بهذه القيود التي تحد من حرية الكاتب وتوجوا ذاتيته ونعوا على الكلاسيكيين خضوعهم لما تخضع له العبقرية، غير مؤمنين بسوى الفرد وما رزق من موهبة، فكلما رفعوا من حقوق الفرد على حساب المجتمع ونظمه، نادوا كذلك بحق العبقرية الفردية في وجه مل يحد منها، وهذا هو السبب في ضيق الرومانتيكيين بأنواع النّقد إلّا النّقد الخلاق الّذي يدعو إليه الكاتب ليفسر به إنتاجه، ويتخذ "فيكتور هيجو" شعاره "الحرية في الفن" أي اعتماد الشاعر على عبقريته".[4]

"لقد ربط الإبداع بالذات المبدعة، ووضعت القوالب الخارجية في مقابل الفردية، إنّ الكلاسيكية خط مفروض من الخارج، بينما ينطلق الشعر من الذات من الشعور من القلب، ... فأصالة الشاعر وإبداعه وقوته إنّما تكمن في التعبير عمّا في نفسه، وإذا كان الشاعر الكلاسيكي يعبر عن ذاته أيضا، فقد قمعها بسلطة العقل والقواعد، أمّا الرومانسي فرفض كلّ القيود التي تحول في نقل الشعور التجربة كما هي قوية صحيحة ملتهبة".[5]

8- الرمز:

---

[1] المرجع نفسه، ص39.

[2] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المذاهب الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص157.

[3] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص39.

[4] المرجع نفسه، ص40.

[5] عباس بن يحي: الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص99.

"التعبير بالرمز الجديد الموحي، لأنّه يناسب الأجواء الغامضة التي يصعب تحديدها وإيضاحها، إنّ الرمز يوجز المعاني الكثيرة ويوحي بانطباعات دون حاجة إلى تفصيل وبيان، ويخلق لدى المتلقي جوا من النشاط والفعالية والمشاركة مع الشاعر". [1]

"الشعر عالم مراوغ، لا يبوح بكل شيء، وثيابه التنكرية لم تحصى بعد، ومن مدنه السحرية الموسومة بـ "الرمز"، فلنحاول أن نستكشف بعض دروبها العصية.

يتكون الرمز في الشعر من خلال الحسيات عن طريق عناصرها المختلفة، حيث ينبثق هيكل الرمز متخذا من الحدس برزخا بين مسارب النفس لدى الشاعر وبين إدراكات المتلقي لا عن طريق الصور الجزئية منفردة وإنّما عن نظامها في تركيباتها اللّغوية حيث تندغم الجزئيات لتصنع جسرا يخطو عليه الرمز في رهافة، امتلاء التجربة بثراء نفسي يدفع إلى أن ترتع اللّغة في غابات الرموز تتلمس في أحراشها انطلاقا للعاطفة الجامعة التي تقف دلالات الألفاظ إزائها عاجزة مشلولة، ولا تستطيع أن توحد بين الانفعال والذات ولا أن تتوغل داخل سراديب النفس حيث ينتصب الرمز كأفضل أداة تعبيرية يقود خياله، مهيب يحتضن التجربة ويمنحها هذا الدفء الغامض وهي في رحلة تخلقها الفني حتّى تتجسد أمامك ويكاد الرمز يثب من خلال النسيج اللّغوي". [2]

8- الصورة والوحدة العضوية:

"في داخل التجربة الشعرية تصبح كلّ صورة بمثابة عضو حي في بنيتها الفنية..... فالقصيدة الغنائية ذات وحدة عضوية حية نامية، وخاصة الصورة في شعر الرومانتيكيين أنّها شعورية تصويرية، لا عقلية فكرية، ومنذ الرومانتيكيين تقرر أنّ كمال الشعر في لغته التصويرية، لا التقريرية العقلية، ولذا عيب الشعر الكلاسيكي، فيما يرى "كوليردج" بأنّه ضحى بالعاطفة المنطلقة المشبوبة في سبيل الدقائق الذهنية والوثبات الفكرية." [3]

"ترتبط الصورة بالعاطفة ارتباطا وثيقا، فالصورة بلا عاطفة خاوية على عروشها يباب، وارتباط الصورة بالعاطفة ناتج عن امتزاج الفكرة بالعاطفة والمشاعر بالخيال، ومن ثمّ تتدفق ينابيع البيان معبرة عن إحساس الشاعر ومعاناته ومجسدة لتلك المشاعر والأفكار

---

[1] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية عند الغرب، ص69.

[2] رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، (د ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ت)، ص96.

[3] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص304.

في صورة حية نابضة بالحيوية والحياة، متدفقة بالعواطف والمشاعر، مكونة إطارا مجسدا لعاطفة الشاعر في صورة متكاملة تسهم في تحقيق الوحدة الفنية في النّص الشعري، فالوحدة الفنية ما هي إلّا وحدة الصورة الناشئة عن وحدة الموضوع وإن اختلفت جزئياته وأفكاره".[1]

9- القومية والوطنية:

"أخذوا يحيون في أدبهم مآثر أجدادهم وصراعهم في سبيل حريتهم، ويشيدون بذلك خاصة في القصص والمسرحيات، وحرصوا في هذه المسرحيات والقصص على وصف اللّون المحلي القصر أو البلد الذي تجري حوادثها فيه، وهذا اللّون الموضعي قد حافظت عليه المذاهب الأدبية الأخرى التي تلتزم وتمثل هذه الاتجاهات السابقة كلها طابع الأدب الرومانتيكي من الناحية الاجتماعية".[2]

10- الإبداع والتحرر:

"لم يعد المسرح الفن الوحيد الّذي يتربع به الشعراء على عرش الإبداع، لقد أخذ الشعر الغنائي مكانته العالية وأصبح المحك القوي لقوة الشاعرية ومن ثمّ برقت أسماء "شيللي" و"كيتس" و"بيرون" و"وردزورث" في إنجلترا، وأسماء "لامرتين" و"فكتور هوجو" و"ألفريددي فيني" في فرنسا، ومن قبلهم "جوته" شاعر ألمانيا الكبير...، بنوا مجدهم على قصائدهم الغنائية التي حددت الإطار الرومانسي للشعر بأنّه حول الحب، وطابعه العام الحزن والشكوى من عدم وفاء الحبيب، وقلق الإنسان وتمرد على كلّ ما يحد من حريته أو يقف في طريق إقدامه، فالحلم بالمثل الأعلى من صميم النزعة الرومانسية".[3]

"فربط الأدب بالإبداع هو تحطيم لذلك الالتزام بالقواعد والأطر وهو أيضا دعوة للتجديد المستمر انطلاقا من الشّخصية الفردية لا من خارجها".[4]

"منذ مطلع القرن الماضي والرومانتيكيون يجهلون أو يكادون على أنّ الأدب الصحيح هو أدب التحرر والانطلاق أو الأدب الكشف والريادة، فطفقوا ينفون عن النّاس قيودهم، وعلى المجتمع نظمه وتفكيره، فكانوا أوّل ثائر به في هذا العصر الحديث.

---

[1] حمدي الشيخ: جدلية الرومانسية والواقعية في الشعر المعاصر، ط1، دون دار نشر، 2005، ص177.

[2] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص302.

[3] محمد حسين عبد الله: مداخل النّقد الأدبي الحديث، ص85.

[4] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص99.

وهذا السبق إلى الثورة مرده إلى المذهب الليبيرالي (Libéralisme) أو النزعة التحررية التي ضربت بجذورها في تاريخ الفكر الأوربي إلى عصر النهضة.

(Remaissance) أتت أكلها على نحو ملحوظ يعتد به في غضون القرن الثامن عشر، فانتهى بها المطاف إلى الثورة الفرنسية (1789) في مبادئها المعروفة من التحرر والإخاء والمساواة. [1]

خلاصة

بصفة عامة يمكن القول أنّ الأدب الرومانسي يستحق أن يوصف بالرومانسية حين تتغلب فيه المشاعر، ويهتم بالانفعالات، حين يحلق الخيال إلى بلاد مثالية ينشد فيها تحقيق أحلامه، حين يهفو إلى البراءة والطفولة والبدائية والبطولة وهو أدب رومانسي إذا اعتصم بروح النظرة الصوفية إلى العالم، أو انصهر في بوتقة تمجيد الوطن والفناء لتاريخه، وهو أدب رومانسي بتمرده على قواعد التعبير وابتكاره للغته الخاصة.

لقد نشطت هذه الجوانب جميعا تحت شعار فردية الإحساس، وخصوصية التجربة الفنية والاهتمام بالصدق، بهذا المعنى الفردي الخاص. [2]

---

[1] حلمي علي مرزوق: الرومانسية- الواقعية النقدية- الواقعية الاشتراكية: أصولها الفنية والفلسفية والإيديولوجية، (د ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، (د ت)، ص11.

[2] محمد حسن عبد الله: مداخل النّقد الأدبي الحديث، ص94.

الفصل الثاني

مظاهر الرومانسية في رواية ماجدولين "تحت ظلال الزيزفون"
(الجانب التطبيقي)

توطئة

1- **التأمل في الطبيعة**

2- **الحب**

3- **العاطفة**

4- **الألم**

5- **ظاهرة الحزن**

6- **الحس المأساوي**

الخلاصة

رواية "ماجدولين"[1] "تحت ظلال الزيزفون"[2] جمعت بحق مظاهر الرومانسية في كلّ صفحاتها، فلم يخلو مقطع من مقاطع الرّواية دون إيراد الطبيعة ومظاهرها فيها الغروب، المساء، الرياح، المياه، كذلك العاطفة المنتشرة في جنبات الأحداث والشّخصيات والحب الأزلي الّذي طبع الشّخصيات والطابع المؤلم المأساوي الحزين الّذي جرت عليه أحداث الرّواية.

[1] اسم مؤنث فرنسي **magdalene** يوناني الأصل وهي منسوبة إلى مجدل بفلسطين واسمها مجدل عسقلان وإليها تنسب مريم المجدلية، قد يرسم مجدولين ومن ثم مادلين ومعناها الأرض الطيبة وقيل المرأة حسنة الخلق وهو اسم أعجمي و قيل مقتبس من الجدل أي تجديل الشي .

[2] الزيزفون شجر من فصيلة الزيزفونيات له زهر أبيض صغير، ورائحة طيبة، عطرة، بري وزراعي، يكثر حول البساتين، والحدائق، يتداوى به (هو كالزيزفون يزهر ولا يثمر) أي يعد ولا يفي بوعده الزيزفون: الناقة السريعة الخفيفة

1- التأمل في الطبيعة:

تجسدت مظاهر الطبيعة في الرّواية بشكل كبير وواضح لا يكاد يخلو مقطع من دون ذكر منظر طبيعي أو محادثة عن الزهر والمرج والورود، هذا ما أضفى على الرّواية المسحة الرومانسية المتأججة بالجمال والبهجة.

إذ استهل الكاتب روايته بفصل من فصول الطبيعة ومنظر من مناظرها البديعة، ففي المقطع الأوّل من الرّواية ترسل ماجدولين إلى سوزان رسالة تخبرها بأن الربيع قد حل وأتى بنسائمه الأخاذة «كلّ ما يمكنني أنّ أطرفك به من الأخبار أن أقول لك أنّ أشجار الربيع قد بدأت تبتسم عن أزهارها وأنّ النسيم العليل يحمل إلي في غرفتي هذه الساعة التي اكتب إليك فيها شذى أوّل زهرة من زهرات البنفسج وأول عود من أعواد الزئبق»[1]، فشخصية ماجدولين شخصية فتاة حساسة مولعة بالطبيعة وتقلباتها الهادئة الصاخبة، فهي تحمل لها الأنس والأمل في وحدتها التي تعيشها، "وقد عبر موريس دي غيران عن شعوره بالتوحد مع الطبيعة تعبيرا جميلا في يومياته حين تحدث عن رغبته في النفاذ إلى أعماق الطبيعة والاندماج بالربيع واستنشاق الحياة بكل جوارحها والشعور بالزهور والمروج والطيور والفناء، وبالمرونة والنضارة والشبق، والطمأنينة، وكان غيران يريد «أن يحس جسديا بأننا نحيا في الله ومنه» وقد طمح إلى خلق أساطير وثنية جديدة، كما في القنطور Le centoure وأنّ يحول الطبيعة إلى كائن روحي كما في تأملات حول موت مريم، وشعر كطفل بالظمأ الرومانسي لأنّ يصعد إلى أصول الإنسانية إلى أصول نفسه، ولأن يجد نقطة الانطلاق من الحياة الشاملة". [2]

ففي الرّواية مجدت الشّخصيات الطبيعية كثيرا وخصوصا الشّخصيات الرئيسية وهامت بها أيما هيام، وتفاعلت معها كأنّها كائن تدلي له بهمومه وتصرح له بتصوراته وأفكاره المتلاطمة والمتضاربة الأحاسيس، فماجدولين فتاة وحيدة تعيش مع والدها في منزلهما ولا يملأ فراغهما سوى الولوع بالنباتات والأزهار وأشجار الزيزفون والتغني بخرير مياه الأنهار والأودية لكي تجد ضالتها المنشودة.

---

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: ماجدولين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص05.

[2] رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، (د ط)، تر: محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص97.

"وقد نجد من لا تسحره الطبيعة بمناظرها الخلابة، واختلاف ألوانها وحركاتها، ولكن الّذين يجدون في كلّ شيء فيها قصّة رائعة قلائل جدا[1]، لأنّه وحدهم أصحاب القلوب الرهيفة والرقيقة الحساسة يجدون ضالتهم فيها وسبيلهم للتنفيس عن آلامهم وأوجاعهم.

فشخصيات الرّواية ذات مسحة رومانسية واضحة وجلية من خلال تمجيدهم للطبيعة والإغلال في الحديث عنها.

"ليست الطبيعة عند الرومنطيقي مساحة جغرافية فحسب، بل أيضا ملاذ وصديق مخلص، يهرب إليها كلّما اشتدت عليه وطأة الأحزان والهموم، وكلما أرهقته ضوضاء المدينة ومتاعب المجتمع، في أحضانها يستريح ويمتع نظره بمشاهدها الجميلة المتنوعة، ولكن بدت في معظم الأوقات حزينة كئيبة، فلأنه يسقط عليها أحزان نفسه ويلونها بمشاعره وأحاسيسه، إنّها ضد الحرية والراحة والجمال بجبالها وسهولها وأنهارها وينابيعها وأشجارها وصخورها ونباتها ونكاد لا نقرأ قصيدة أو رواية رومنطيقية إلّا ونعثر فيها على وصف الطبيعة حتّى لو كانت صحراء قاحلة، لأنّ خيال الرومنطيقي الخلاق يعرف أن يلونها وأن يسكب عليها رفقا من ذاته، فيخرجها مفعمة بالإنسانية وكأنه بينه وبينها علاقة وجدانية حميمة هي حكاية عمر من الألفة والصداقة". [2]

"التمسوا العراء والسلوى في الطبيعة التي تمثل في نظرهم العالم الّذي لم تفسد المدينة والقوانين، إنّها الغاب كما سماها بعضهم، أي مرحلة الموافقة للفطرة والبداءة". [3]

لقد لجأت ماجدولين إلى الطبيعة وناجتها بكل حواسها، فقد تربت في منطقة ريفية غراء اتسمت بالجمال والرونق واعتزلت كلّ مظاهر المدينة ولبست رداء البداءة والفطرة الغريزية.

«من ماجدولين إلى سوزان..... الجو رائق، والسماء مصحية، وقرص الشمس يلتهب التهابا، والأرض تهتز فتنبت نباتا حسنا، والأرض تنتفض عن أوراقها اللامعة الخضراء، والهواء الفاتر يترقرق فينبعث إلى الأجسام فيترك فيها أثرا هادئا لذيذا».[4]

---

[1] عبد الدايم الشوا: في الأدب المقارن دراسة تطبيقية مقارنة بين الأدبين العربي والإنجليزي، ص91.

[2] أنطونيوس بطرس: الأدب، تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص295- 296.

[3] فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، ص180.

[4] الرّواية، ص06.

"ودعى روسو إلى العودة إلى الطبيعة وإلى الحياة الفطرية[1]، «فلا يرى بدا من الفرار بنفسه إلى الغابات والأجمات والهيام على وجهه في قمم الجبال، وعلى ضفاف الأنهار ليتروح عن نفسه بعض ما ألم بها»".[2]

التجأ استيفن إلى الطبيعة فرارا من إرباك نفسه وتوترها فناشد الطبيعة وآثر البقاء فيها وبين ربوعها على أن يندمج مع النّاس فلا أنيس يفهمه غيرها.

«مد استيفن يده إلى طاقة بنفسج كانت في آنية إلى جانب وسادته وقال له: إني جمعت هذه الطاقة لماجدولين لأني أعلم ولعها بالغريب المستطرف من الزهر، فلعلك تنوب عني في تقديمها إليها، فأخذ مولر شاكر وانصرف».[3]

"ومن أهم ما كان يميز شعراء الطبيعة عند الغربيين هيام هؤلاء الشعراء بالأزهار، فكانوا يتحدثون ويبثونها مشاعرهم ويسعدون بالنظر إليها، وقد كان بعضهم يتوجه إلى زهرة بعينها كما فعل الشاعر الإسكتلندي "بيرنز" في مقطوعته الشعرية "زهرة اللؤلؤ Daisy" ولعلّه كان المؤثر الأوّل على الشاعر الإنجليزي "وردزورث" في شعره عن الزهرة نفسها".[4]

«ولقد أعجبني منها أنّ تلك الزهرة هي أحب الزهور إلي، فكأنما ألهمت ما في نفسي، وإني أعجب لشعرائنا في إغفالهم ذكر هذه الزهرة في أشعارهم كما ذكروا غيرها ممّا لا يقوم مقامها، ولا يكافئها في حسنها وروائها، ولا أذكر أني قرأت لأحد منهم شعرا فيها إلّا قطعة لشاعرنا جيتي».[5]

"إنّ "وردزورث" قد أكثر من ذكر الأزهار في شعره، فهو يبتهج بزهرة النرجس ويتفاعل معها وتلك الزهرة هي التي تومض ببصيرة الشاعر عندما يخلو إلى نفسه مفكرا أو مهتما، فتنقلب وحدته إلى أنس، وتملأ الزهرة عليه فراغه، فيقول من قصيدته "إلى النرجس الأصفر":

«إذ كثيرا، عندما أرقى في فراشي
مثقلا بالفراغ أو بالفكر

---

[1] محمد مندور: الأدب ومذاهبه، ص62.

[2] الرّواية، ص22.

[3] الرّواية، ص23.

[4] أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص114.

[5] الرّواية، ص23.

تومض هذه الزهور في بصيرتي
التي تمنحني هناء الوحدة
عندئذ يفعم قلبي بالمسرة
ويرقص مع أزهار النرجس. [1]

إنّ تمازج روح ماجدولين مع الزهر المختلف الألوان والأطياف جعل منها فتاة ذات مسحة شاعرية رومانسية، فهي تدلي لها بهمومها وزفراتها الداخلية وخلجاتها النفسية.

«ثمّ مشى يتحامل على نفسه إلى شجرات بنفسج كن على الشاطئ فأخذ يقتطف من زهراتها ويصفها في منطقته، كأنّما يريد أن يتخذ منها لصاقة يجعلها تلك الحادثة تذكارا». [2]

«وممّا يظهر شدة تعلق شعراء الغرب بالأزهار أنّهم كانوا يتخذونها وسيلة لتذكر ما مضى من حب واسترجاع أيامه العذبة، وكانوا أحيانا يحتفظون ببعض الأزهار التي تمثل لهم ذكريات لقائهم الحبيب بين صفحات كتبهم». [3]

واستيفن أراد من هذه الطاقة ذكرى يسترجع بها الحادثة التي كادت تودي بحياته لولا فضل بالله وأنّ آخر من نطق اسمها هي ماجدولين التي سكنت قلبه وفؤاده.

«مال ميزان النهار، وانحدرت الشمس إلى مغربها ودب الظلام في الأضواء دبيب البغضاء في الأحشاء وسكن كلّ صوت إلّا صوت العصافير المزدحمة على أبواب أعشاشها، وجلس استيفن في الحديقة تحت ظلال أشجار الزيزفون يترقب نزول ماجدولين». [4]

إنّ غروب الشمس عند استيفن غروب المآسي وسكون الليل هو سكون روحه واستقرارها في خيلاتها العلوية السماوية.

«وممّا هام به شعراء الغرب الرومانسيون من بين مظاهر الطبيعة الليل والمساء، ولحظات الغروب لكل من الشمس والقمر بوصفها من بين مظاهر الطبيعة العلوية،

---

[1] أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص114.

[2] الرّواية، ص27.

[3] أحمد عوين: المصدر نفسه، ص116.

[4] الرّواية، ص27.

يستلهمون من ذلك الأسرار، ولم يقفوا عند حد الإحساس بالليل بوصفه رحابا من الأجواء الخرساء المؤنسة التي تساعد على التفكير..... بل لأن الليل مليء بالأسرار التي لا تدرك، ولأنه مثار الأحلام، ويولعون بوصفه خاصة قبيل غروب القمر أو بعيده، إذ تثور خواطرهم في هدأة الكون، حين تبدو الظلمات مشوبة بأضواء شاحبة في طريقها إلى الفناء، وهذا الفناء الّذي يذكي الشعور بالموت يفتح أمام الرومانتيكيين باب الأبدية، لأنّهم يعتقدون أنّ الحقائق الكبرى تتجلى في ظلمات الأحلام، وما ظلمات الموت إلى فجر الخلود».[1]

«خرج استيفن بعد ذهاب ماجدولين هائما على وجهه يعدو في عرض الفضاء ينحدر إلى يمينه مرة وإلى يساره أخرى، وكأنما يريد أن يشهد الأرض والسماء والبحار والأنهار والجبال الشماء، والسهول الفيحاء، والحيوان الناطق والجماد الصامت على سروره وغبطته، وكان يشعر في نفسه أنّ السعادة التي نالها هي فوق ما يحتمل طوقه».[2]

"كان استيفن يريد أن يبوح للطبيعة بفرحته الغامرة وكأنّما يريد أن يرسلها عبر نسمات الهواء العليل ويصدح في السماء ويبوح لها بسعادته.

كان شعراء الرومانسية في الغرب يهيمون بالطبيعة ويرتمون بين أحضانها لاجئين إليها محاولين العثور على الطمأنينة والهدوء والبحث عن الأمن بين ربوعها مبتعدين بذلك عن العالم المادي وعالم المدينة- على وجه التحديد- هاربين من شرور هذا العالم إلى صفاء الطبيعة ونقائها.

إنّنا نستطيع أن نجزم أنّ شعراء الرومانسية عموما كانوا يلجون إلى الطبيعة ويستلهمون العزاء فيها، من هؤلاء الشعراء الإنجليزي "كولريدج" الّذي كان يرتمي بكيانه كله بين أحضان الطبيعة فيجعلها قبته ومعبده فيقول: «إنّ لعالم السموات تأثيرات عذبة، سأبني معبدي في الحقول، وسأجعل قبتي السماء الزرقاء وشذى الزهرة البرية البخور الّذي ازجيه إليك يا إلهي».[3]

---

[1] أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص118- 119.

[2] الرّواية، ص30.

[3] أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص108.

«كانت الشمس قد لبست ثوبها الثالث، ثمّ ما لبثت أن هوت إلى مستقرها على أن ترسل من خلفها سليلها القمر، إلى هذا الوجود ليقوم عنها بحراسته حتّى تعود إليه، فأمعنا في البحيرة، وكانت هادئة ساكنة كصفعة المرأة وكان النسيم باردا يترقرق فيلامس الوجوه بخفة كما تلامس يد الحسناء وجه حبيبها... ثمّ هتك القمر ستر الظلام وأرسل أشعته الزرقاء إلى الزورق والبحيرة والشاطئ.

لقد ركبا زورقا وهاما في الطبيعة الساحرة الخلابة مع غروب الشمس وسلاسة النسيم الّذي كان يلفح وجهيهما حتّى حلول الليل وصفاء القمر».[1]

فالشاعر في غمرة سكون الليل وترفرف عليه أسراب الأحلام التي تعلو سربا من الأحزان المتراكمة التي تملؤها الآلام. [2]

إنّ الليل بسكونه وهدوئه يملأ النفوس وقارا ورهبة، فقد سار في الليل وسط الطبيعة المترنمة الضاحكة البهيجة لدرجة أنّ الزورق سار بهما دون أن يتطلعا لأمره.

«لقد كابدت بالأمس ليلة ليلاء فلم ينحدر كوكب الشمس إلى مغربها حتّى سمعت صوت العاصفة يهدر في كلّ مكان، رأيت آفاق السماء قد أربدت واقشعرت ثمّ أفرغت عن غيوثها المنهلة فذكرت أنك لا تزال على الطريق، وأنك تقاسي في تلك الساعة من عثرات الطريق وعقباته وقفقفة البرد ورعشته عناء عظيما».[3]

كانت ليلة عاصفة هوجاء تهاطلت فيها الأمطار وتهاطلت معها آلام ماجدولين عندما تذكرت بأن استيفن لا يزال على الطريق ويعاني البرد والعناء فحزنت لذلك كثيرا، لقد كان هذا المظهر القاسي من الطبيعة والهائج فزاد هيجان نفس ماجدولين وذعرها، فالطبيعة مرآة عاكسة لأحزانها وآلامها.

«هبت علي ريح عاصفة شديدة دوت بها جوانب الأفق، وقعقعت لها قبة السماء حتّى حسبتها توشك على أن تنقض ، وأخذت تجاذبني ثوبي مجاذبة شديدة كأنّها تأبى إلى أن تنتزعه مني أو تنتزعني معه، ومشيت في طريقي أتمايل مع الريح مرة.... وكانت العاصفة قد هدأت قليلا، ولكنها ما هدأت إلّا لتفتح الطريق إلى الغيث الهاطل، فلم تهدد

---

[1] الرّواية، ص119.

[2] أحمد عوين: المصدر نفسه، ص119.

[3] الرّواية، ص50.

ثورتها حتّى ثار ثائره وأخذ يتساقط سقوطا شديدا.... واشتدت ظلمة الليل فما أهتدي إلى طريقي....».[1]

إنّ هذه الحالة الثائرة للطبيعة لم تنقص من عزيمة ماجدولين وإصرارها على إرسال الرسالة إلى استيفن فكابدت العواصف والرياح والأمطار ولم تأبه لما سيحل بها بل كان أكبر همها أن تراسل استيفن وتخبره بأحوالها.

«أن أسلم نفسي إلى كنف من أكناف الهضاب أو سفح من سفوح الجبال انتظر فيه منيتي حتّى توافيني».[2]

لقد أرادت ماجدولين أن تختلي بنفسها في أحضان الطبيعة وبين ثناياها وتنتظر حدفها بين ربوعها.

«استقبلت الفضاء شعرت أن أوراق الأشجار تضطرب اضطرابا سريعا في خفوت وهمس وأنّ الهواء يمشي متثاقلا مترجحا يتحامل بعضه على بعض، ورأيت قطع السحاب الضخمة السوداء تنتقل إلى صحراء السماء تنتقل قطعان الفيلة في غاباتها، وخيل إلي أني أسمع في أعماقها قعقعة مبهمة تدنو حينا وتنأى أحيانا، وكأنما قد راع هذا الصوت الأجش طيور الماء، وحشرات الأرض، فرأيت الطيور مرفرفة على سطح النهر تسبق إلى أوكارها، والحشرات متعادية بين الصخور وتتسرب إلى أحجارها».[3]

لقد بث "استيفن" شعوره ونزهته في الطبيعة وشعر برجرجة الأوراق تحركها رغم صوتها الّذي لا يكاد يسمع وعن الهواء الّذي كان يختلج صدره وعن السحب التي كانت تتناثر وتتضارب في اسودادها وجريانها.

وشبهها في تجمعها وتزاحمها بقطعان الفيلة الثائرة وتراءت له الأصوات كأنّها قطع موسيقية تعزف فيستثار هذا الصوت الحيوان والجماد فهرعت الطيور إلى أوكارها والحشرات إلى أحجارها وأضحت الدنيا سوداء متهجمة.

«ثمّ ما لبثت هذه الطبيعة الصامتة الخرساء أن هدرت وزمجرت فهبت الزوبعة من مكان تخبط بيديها أوراق الأشجار فتطير بها كلّ مطار وتهتز السقوف والجدران هزا

---

[1] الرّواية، ص64.

[2] الرّواية، ص65.

[3] الرّواية، ص84- 85.

وتضرب بعضها ببعض، ثمّ أقبل المطر يمزق قطع السحاب ويفتح لنفسه والبرق طريقا في خلالها، ثمّ همس فسالت به الأودية والأرجاء وامتلأت الأخاديد والأغوار».[1]

لقد كانت لوحة من أجمل لوحات الطبيعة، فقد تحولت من السكون إلى الهيجان تراقصت فيها الأمطار وزمجرت فيها العواصف فلعب بأوراق الأشجار كلّ ملعب، ثمّ انحدر المطر الغزير متبوعا بالبرق آفاق السحب وسال سيلانه الجارف.

«لاحت له أعالي أشجار الزيزفون التي كان يجلس تحتها هو وماجدولين كما كان يسكنها، فعادت إلى ذهنه تلك الأيام الماضية التي قضاها في هذه المواطن، فرأى صبحها ومساءها، وليلها ونهارها، وبكورها وأصائلها».[2]

لقد اندمج استيفن مع الطبيعة وتناسق معها عندما رأى أشجار الزيزفون تلوح له من بعيد، فمر بخاطره تلك الأيام التي كان يجلس تحتها هو وماجدولين فمر أمامه الصبح بأنواره والمساء بغروبه وأفوله كذلك الليل والنهار والبكور والآصال.

«مشى في الحديثة يقلب نظره في أشجارها وأغراسها وجداولها وطرائقها ويقول في نفسه: لقد بقي كلّ شيء ما هو عليه، فها هي ثغرة بالحائط الغربي لا تزال باقية كما هي، وها هي الصخرة العاتية السوداء ملقاة في مكانها تحت الجدار كما تركتها، وهي أعشاش الطيور فوق قمة شجرة السندان تختلف إليها عصافيرها غادية رائحة كعهدي بها.... وها هو الجذع الّذي حفرنا عليه اسمينا أنا وماجدولين ثمّ مشى إليه فرأى الكتابة لا تزال على حالها كأنّها قد حفرت بالأمس.... هبت على وجهه في تلك الساعة نسمة مرت قبل مرورها عليه بأزهار الحديقة وأعشابها فحملت إلى رأسه المجموعة العطرية البديعة التي طالما استروحها في هذا المكان نفسه مع ماجدولين».[3]

لا يزال "استيفن" هائما في الطبيعة في ساريا في خيالاته فقد وجد كلّ شيء باق على حاله وكأنما رائحة الأزهار لم تتغير وأعشاش الطيور لازالت عامرة بأطيارها والجذع الّذي حفر اسميهما عليه هو وماجدولين لا يزال على حاله فتغبط لذلك كثيرا وتطاير بين الأزهار والأحراش.

---

[1] الرّواية، ص85.

[2] الرّواية، ص122.

[3] الرّواية، ص123.

«إني أشعر بضيق في صدري لا أعلم له سببا فافتحي هذه النافذة لاستنشق هـواء هذا الصباح الجميل، ففعلت فأخذ يقلب وجهه في السماء ويقول: ها هي ذي الطبيعة تهدي إلينا في يوم عرسنا أجمل ذخائرها وأعلاقها، وهواءهـا العليـل، وشمسـها السـاطعة، وسماءها الصافية الجميلة، فشكرا لها على يدها عندنا».[1]

في تلك الحالة المأساوية شعر استيفن بأنوار الطبيعة وهواءها العليل، فـرغم كـلّ الألم والحزن الّذي كان فيهما شعر بجمال ورونق الطبيعة وجمال الصباح، فأخـذ يقلـب نظراته في السماء ويقول إن الطبيعة تفرح معه والهواء يتراقص برقصاته والشمس تهدي له أجل وأعذب الأشعة.

«لقد سلبت هذه المرأة يا سيدي زهرة عمرك، فمسك ذلك واستبق لنفسك ما بقـي منه، وتمتع فيه بما أعد الله لك في هذه الحياة من لذائذ الحياة من لذائذ ومتع لا تنفـذ ولا تبلى، وأطلب السعادة إن اردتها بين أحضان الطبيعة وأعطافها وفي كلّ ما يحمل بسـاط الأرض وتظل قبة السماء، فالطبيعة أم حنون تضـم بـين ذراعيهـا أولادهـا البؤسـاء المحزونين فتمسح همومهم عن صدورها ودموعهم في مـآقيهم، وتمـلأ قلـوبهم غبطـة وهناد».[2]

قال "فرتز لاستيفن" بأن ماجدولين قد سلبت الابتسامة والضحكة منه ونصـحه أن يدرك نفسه وأنّ الأمر هنا ينتهي هنا فألقي ما ورائك واستقبل الطبيعة لأنّها أم رؤوم لكـل قلب كسير وجريح، فهي تستقبل كلّ من يلجأ إليها وتنزع عنه غشاوة الألم والغوص فـي سفوحها وسمائها فهي ملاذ كلّ منكوب لترويح همه.

«كان الجو مكفهرا والريح عاصفة والسحب تحجب وجه القمر ولا تنحسر عنه إلّا حينا بعد حين، ثمّ لا تلبث أن تعود إلى تراكمها وتكائفها، كان يحيط بالمقبرة من جهاتهـا الثلاث سور متهدم كثير الثغرات والفجوات، ويمتد مع جهتها الرابعة نهر جـونتج، وقـد قامت على صفته أشجار عالية غيماء تعصف الريح بفروعها وأوراقهـا عصـفا شـديدا فيتألف من حفيفها وخرير ماء النهر الجاري بجانبها صوت غليظ أجش يملأ القلوب روعة ورهبة».[3]

---

[1] الرّواية، ص152.

[2] الرّواية، ص159.

[3] الرّواية، 213.

حمل استيفن فأسه واتجه نحو المقبرة، كان الجو غائما والطبيعة هائجة، فكان تكثف السحب يحجب رؤية الناظر والرياح قوية عاصفة ولما وصل إلى المقبرة هابه منظرها فقد كان منظرا موحشا يثير في النفس الرعب والهلع ويقابلها سور عالي كثير الثغرات، وقامت على ضفته أشجار عالية تعصف الريح بها وتلاعب فروعها واوراقها، فكانت الأصوات التي تصدرها الأشجار مع جريان المياه في النهر ذا وقع قوي وصاخب يثير الرهبة والفزع في النفوس.

«هو الرجل الّذي استطاع وحده من دون الموسيقيين جميعا أن ينطق بلسان الطبيعة، ويردد انغامها وأهازيجها وأن يكون في غنائه هادئا كالماء وصافيا كالسماء، وعميقا كالبحر وصادحا كالطير وخافقا كالنجم».[1]

لقد حضر الكثير من الموسيقيين لرؤية استيفن في منزله للاطمئنان عليه فعزف أحد الموسيقيين لحنا للموسيقار العظيم بيتهوفن فطرب الجميع له، إنه رجل عظيم استطاع أن يترجم مظاهر الطبيعة إلى نوتات موسيقية راقية تسبح وتمضي بخيال السامع وردد أنغامها وأهازيجها الرنانة وكان في غنائه هادئا كالماء في جريانه وصافيا كالسماء في صورها وعميقا ذا أثر بالغ كالبحر ومترنما مضطربا كالطيور ولامعا بارزا كالنجوم في السماء العالية المضاءة.

«فر بنفسه إلى الغابات والأحراش وقمم الجبال وضفاف الأنهار، وهنالك في خلواته ومعتزلاته وحيث لا يسمع صوتا غير الطبيعة، ولا يرى وجها غير وجه الله، أخذ يبث قيثارته آلامه وأحزانه ويسكب مدامعه الغزيرة بين مثانيها ومثالثها، ويضع وهو جائع وصفر اليدين والأحشاء، تلك الموسيقى العظيمة التي يعيش الموسيقيون اليوم ببركتها عيش السعداء، وينعمون في ظلالها بنعمة العيش الرغيد».[2]

لقد هجر بتهوفن الدنيا وما فيها ففضل العيش في الغابات وعلى الأحراش أو فوق قمم الجبال أو على ضفاف الأنهار، وهناك اختلى بنفسه واعتزل جميع من أساء إليه وتبنى الطبيعة هذا الصرح الّذي يعالج هموم البائسين ويداوي المتفجعين، ولا يحس بوجود مخلوق غير وجود الله، فأخذ ينشد أعذب الألحان من خلال آلامه وأحزانه ويسكب مدامعه الغزيرة وفي حالته المأساوية تلك وضع أعذب الموسيقى وأبلغها رغم أنّه كان لا يملك

---

[1] الرّواية، ص217.

[2] الرّواية، ص219.

قوت يومه ولا لقمة يسد بها رمقه وألحانه اليوم ينعم بظلالها الموسيقيون ويعيشون فيها العيش الرغيد.

«كثيرا ما كان يستمر به المسير حتّى يصل إلى جزر الدانوب فيهم على ضفاف ذلك النهر أياما طوالا لا يفترش إلّا العشب، ولا يلتحف غير الظل ولا يطعم إلّا ما يقذف به إليه النهر من أحيائه، حتّى يعبر به صديقه "هومل" فيعود إلى العمران».[1]

لقد كان بيتهوفن لا ينزل بقرية أو ضاحية حتّى يملها ويسيطر عليه الضجر وكان في معظم وقته يهيم على ضفاف النهر في جزر الدانوب أياما طوالا لا يرى إلّا الطبيعة ولا يحادث بشرا إلّا أصواتها ولا يفترض إلّا العشب ولا يغطيه إلّا الظل ولا يأكل إلّا ما يصطاد من النهر فيبقى على تلك الحالة حتّى يعود إليه صديقه "هومل" فيأخذه معه.

2 - **الحب**:

«وكان يخيل إليه وهو يحدث نفسه بهذا الحديث أنّ الحب الّذي ملأ قلبه قد فاض عنه إلى جميع الكائنات التي يراها بين يديه، فكان يرى في صفحة السماء صورة الحب ويسمع في حفيف الأشجار صوت الحب، ويستريح في النسيم المترقرق رائحة الحب، ويرى في كلّ ذرة ثغرا باسما، وفي كلّ لغزا باسما، وفي كلّ نأمة عودا ناغما».[2]

كان الحب من أقدم تجارب الرومنسية، مرتبطا بالسعادة والحقيقة بالنسبة إلى الشاعر الرومانسي وهو من هذا القبيل ذو بعد روحي يتخطى العرف الجاري عليه بين العامة، ففيه تجربة فيزيقية ميتافيزيقية في آن معا، وما دام بالرومانسي يأنف من الواقع الواقعي في مظاهره وحدوده كلها أكان في التجربة الفنية إذ يكسوه بالتأويل والانفعالات، وفي الحب ذاته، فإنّه رفض أن يعتبره حالة من الوجد العاطفي القائم على حدوده الذاتية، وسعى إلى يعتز فيه على حالة عليا، أو على نوع من تكامل الذات والتعفي من عاهات النقص والجزئية، والقصور بين يدي الوجود.[3]

الحب أرقى شعور إنساني، فهو عاطفة جياشة مفعمة بالكثير من المشاعر المتدفقة الفياضة.

---

[1] الرّواية، ص220.

[2] الرّواية، ص19.

[3] إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ط2، دار الثقافة، لبنان، 1983، ص178.

«لقد شغل النّاس بالحب منذ الأزل، وما فتئت قلوبهم تلهج بذكر بالحبيب، فيشتد نبضها ويعلو وجيبها لذكرى ليلة غرام مضت».[1]

«لقد سعد السرير الّذي لامسها، والرداء الّذي ضمها، والأرض التي لثمت أقدامها، والماء الّذي انحدر على جسمها، ثمّ مشى إلى الرداء المنتشر فأخذ يلثمه كما يلثم العابد المتشدد ستائر معبده».[2]

الحب هو بلسم الحياة وعزاؤها، الحب يعيد خلقه، وكأنه جديد لم يبل حرب الحياة، ويجري على أوتار قلبه أنامل لدنة طيبة، ويتمنى عندئذ أن يعانق بذاته الوجود كله وأنّ يحل فيه، يعانق القمر والشجر والليل والفجر والغيم الذي يوشي رداء السهر، وهكذا فإنّ الحب له بعد غيبي ثمة، إنّه تكامل الإنسان في ذاته وتكامل الطيبة من خلاله والطبيعة التي يتجسد الحب بها وهي طبيعة ربيعية متألقة مثالية سحرية.[3]

عندما يقع المرء في الحب تتراءى له الحياة بمنظور الجمال والتفاؤل، فتصبح كلها ربيع والليالي كلها مقمرة وتتلون الحياة بالألوان البهيجة وتتطاير العصافير من كلّ مكان صادحة مرنمة.

«مدت يدها إليه فصافحته، فلم يكن بين تلامس كفيهما، وخفوق قلبيهما إلّا كما يكون بين تلامس أسلاك الكهرباء واشتعال مصابيحها، ولبثا بعد ذلك ساعة صامتين لا ينطقان، إلّا أنّ في الجبين لغة لا تقرأها العيون، فقرأ استيفن في وجه ماجدولين لوعة الحب وألم الحزن واضطراب الجأش وحيرة النفس، وقرأت في وجهه الحب والسعادة والدهشة والسرور المتلألئ والدمع المترقرق، فهاجها هذا المنظر فأرسلت من محاجرها أوّل دمعة من دموع الحب».[4]

لقد كانا لكلاهما قلبين طاهرين مملوأين بالرحمة والصفاء الّذي لا يشوبه مكدر، فتضاربت الأحاسيس والمشاعر، فكانت لوعة الحب وألم الحزن والخوف من الآتي والقلق والحيرة على كلّ هذه المشاعر تداخلت في تلك اللحظة.

---

[1] عبد الدايم الشو: في الأدب المقارن، ص74.

[2] الرّواية، ص20.

[3] إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي، ص292.

[4] الرّواية، ص28.

«اتفق الرومنسيون جميعا على تقديس عاطفة الحب التي اعتبروها وسيلة للتسامي وفضيلة من أسمى الفضائل، والحب الرومانسي يغلب عليه الحزن والشكوى لذلك لا ينشد الرومانسيون لغاية المتعة الجسدية، بل طلبوه لذاته لأنّه الأساس الروحي للعلاقات الطبيعية، فضلا على أنّه يؤدي إلى نكران الذات، حيث يمجد المحب مبررات وجوده وبقائه في من أحب».[1]

«فبكى بكائها وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم، وشعر في نفسه وقد ضمها إليه بتلك العاطفة اللذيذة التي يجدها الغريب النائي عن أهله وجيرانه إذ لاقى في مطارح غربته غريبا مثله يأوي إليه، ويحنو عليه، ثمّ أخذ بيدها فألصقها بكبده كما يفعل المريض بيد عائده ليدله على موضع المه، وكأنما هو يقول: إنّ لغة اللّسان لا تكشف عمّا اشتملت عليه أضلعي من الوجد بك والحنين إليك، فألمسي قلبي بيدك لتعرفي مكنونه، وتكتشفي غامض سريرته».[2]

لقد كان استيفن حيدا بعيدا عن أهله وموطنه فكان حبه هو الأهل والمواطن الّذي ينشدهما فأخلص في حبه لماجدولين وناشدها بكل حواسه.

لقد شجع الرومنطيقيون النّاس على البوح بمشاعرهم الذاتية، بعدما كان الحديث عن الذات مستقبحا عند الكلاسيكيين le moi est naissable، وجاهر هؤلاء بحبهم، وتحدثوا عن لقاءاته الحميمية، فوجد النّاس في هذا الأمر متنفسا لهم، لقد ضاقوا ذرعا بالمشاعر المقننة وبمراقبة حب الأبطال، من ملوك وقادة، وسفراء في المسرحيات الكلاسيكية، وبات الحب أنشودة الحياة، كما هي في قصيدة "هوغو":

فنلعب دائما! فلتحب أيضا!
حين يهرب الحب، يهرب الأمل
الحب هو صيحة الفجر
الحب هو ترتيلة الليل
إنّ ما تقوله الموجة للشيطان
والريح للجبال القديمة
والنجمة للغيوم

---

[1] فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، ص180.

[2] الرّواية: ص28.

هو الكلمة التي لا توصف: فلنحب![1]

«ومرت بهما على ذلك ساعة لا يعرف مكانها من نفسها إلّا من مرت به في يوم من أيام شبابه ساعة مثلها، فقد كانا يشعران أنّهما في معزل عن العالم، وأنّ مكانهما من تلك الحديقة في انفرادهما وسكونها وهنائهما وغبطتهما مكان آدم وحواء من جنتهما، قبل أن يأكلا الشجرة ويهبطا إلى الأرض، وأنّ روحهما قد تجردت عن جسميهما فطارت ترفرف بأجنحتها في فضاء الملأ الأعلى، فرأت مدارس الشموس في أفلاكها، وحركات الكواكب في منازلها، ومرت بين صفوف الملائكة وسمعت جزلها وتسبيحها تحت قوائم العرش، ودخلت جنة الخلد فرأت حورها وولدانها، ولؤلؤها، ومرجانها، وروحها وريحانها، فلم يستفيقا من غمرتهما حتّى سمعت ماجدولين صوت جونياف تناديها، فمدت إليه يدها مودعة وهي تقول: غدا في مثل هذه الساعة في هذا المكان، فمد يده إليها ذاهلا لا يعلم ماذا يراد به ثمّ مضت ومضى بنظراته على آثارها حتّى اختفت آخر طية من طيات ردائها الأبيض».[2]

لقد كانت خلوتهما خلوة روحية، إذ اعتزلا العالم الخارجي وعاشا لحظات من التفرد فلم يكدر صفوهما مخلوق.

«لا أزال أشعر حتّى الساعة بجمال ذلك المقام الّذي قمته بين يديك أمس ولا أزال ألمس صدري بيدي لأعلم أين مكان قلبي من أضلاعي مخافة أن يكون قد طار سرورا بتلك السعادة التي هي كلّ ما يتمنى المحب أن يكون، والتي لا أعتقد أنّ أبناء الخلود يقدرون لأنفسهم في دار نعيمهم خيرا منها ولو أن لامرئ أن يسدي إليه أفضل النعم وأسبقها، وأجمعها لكل خير وبر، لوجدتني يا مجدولين ساجدا بين يديك في كلّ مطلع شمس سجود العبد الشاكر للإله المنعم».[3]

لقد كانت السعادة التي ألمت "باستيفن" كبيرة إلى حد لم يستطع كتمانها بل تبدت معالمها على وجهه وكيانه، فأرسل رسالة إلى ماجدولين يبثها غبطته وسروره بذلك اللقاء ويعترف لها بأنّه أسعد مخلوق على هذه المعمورة وأنّها فعلا امرأة تستحق التقديس والإجلال.

---

[1] أنطونيس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص298- 299.

[2] الرّواية، ص29.

[3] الرّواية، ص31.

«وأمّا بالنسبة إلى الحب بين الرجل والمرأة، فإنّ الرومنطيقيين ألبسوه هالة من القداسة، وبوأوه المرتبة التي تليق به، فشعرت المرأة وربما للمرة الأولى بعد العصور الوسطى، بأنّها كائن ذو كرامة واحترام، وبانها الآمرة والناهية على قلب الرجل»[1].

«إنّ الله لم يهبني نعمة الجمال التي وهبك ولم يجملني بمثل ما جملك به من رقة الحس وعذوبة النفس، فإن أنت أحببتني فقد أحببت فتى مجردا من مزايا الفتيان، لا يستطيع أن يمت إليك بمثل ما تمتين به إليه، ولا أن ينيلك من السعادة ما أنلته منها، فإن كنت ترين أنّ الإخلاص في الحب والوفاء بالعهد، وهبة النفس هبة خالصة بلا ندم ولا أسف، مزية استحق لها محبتك فها أنا ذا أقدمها بين يديك، فتقبليها مني وقولي إنك سعيدة كما أنا سعيد بك».[2]

لم تحب ماجدولين استيفن لأنّه صاحب مال أو سلطة فتغتر بما يملك، وليس صاحب جمال فتتفاخر به بين أقرانها فقد أحبته لنبل أخلاقه ورقة قلبه وسماحة نفسه.

«أصبح القلب هو الحكم والقائد، ونافذة البصيرة الإنسانية، وسيؤدي هذا بالضرورة إلى المبالغة في التخيل، والمغامرة وتصوير التجارب النادرة، وإطلاق العنان لشطحات الروح، تماما كالتجارب الصوفية، ومن هنا كان الحلم بالعالم المثالي» [3].

«زوجة تحب تزوجها وتبكي رحمة به وإشفاقا عليه وأولاده يجثون على أقدامهم ويمدون أيديهم إلى الله تعالى ضارعين أن يحفظ لهم حياة أبيهم، وأب يبكي فرحا برؤية أولاده بين يديه سالمين مغتبطين، إنّها السعادة النفسية العالية التي لا تستمد بهجتها ورواءها من القصور والرياض، والأثاث، والرياش، والفضة والذهب، بل من الحب الخالص والود المتين».[4]

أرسل استيفن مرسولا إلى ماجدولين يحدثها عن مدى محبة عائلة فرتر له وعطفهم عليه وانتظارهم الشديد له داعين الله آملين قدومه وها هي لحظات قليلة حتّى دخل عليهم البيت فبكى لبكائهم ولرؤية أولاده بين يديه، إنّها قمة الحب والعاطفة فهي سعادة نفسية خالصة لا تكون بالأموال والقصور وإنّما بالحب والاهتمام الدائمين.

---

[1] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص301.

[2] الرّواية، ص31.

[3] محمد حسن عبد الله: مداخل النّقد الأدبي الحديث، ص84.

[4] الرّواية، ص86.

«رأيتك يا ماجدولين بعد افتراقنا عاما كاملا، وكانت ساعة من أسعد الساعات وأهنئها فغفرت من أجلها كلّ سيئاته عندي، بل نسيت عندها أنّني ذقت طعم الشقاء ساعة واحدة في يوم من أيام حياتي، وظللت اقول في نفسي: هذا شأني ولم أرها إلّا لحظة واحدة على البعد، فكيف بي إذا أصبحت كلّ ساعات حياتي ساعات لقاء واجتماع؟ إني أذكر ذلك يا ماجدولين فخيل إلي أن قلبي أضعف من أن يحمل هذه السعادة كلها وأنّها يوم توافيني ستذهب إمّا بعقلي أو بحياتي».[1]

لقد كانت تلك اللحظة التي رأى التي رأى فيها استيفن ماجدولين من أسعد باللحظات وأهنئها إلى قلبه بعد فراق دام طويلا فنسى بعد ذلك اللقاء كلّ ما كابد من أوجاع وأهوال بسبب الحب والولع الشديدين بها، فقد ملأت ساعات حياته غبطة وسرورا وتمنى اللحظة التي تجمعهما سويا.

«وأنّ المكان الّذي شغلته من قلبك لا يزال آهلا بي كعهدي به، وأنّ تلك الريبة التي عرضت لنفسك فيك إنّما هي وساوس الحب وأوهامه».[2]

لقد أحب استيفن ماجدولين كثيرا وأراد أن يبقى قلبها آهلا بالحب الّذي جمعهما وأن لا تفرقهما الأيام والظروف وأنّ تلك الشكوك التي كانت في نفسه إنّما هي وساوس وتخيلات الحب لا غير.

«سألته أن لا ينقطع عن زيارة بالملعب لتراه، فعزم على أن يسافر يوم الأحد ليراها ويلتمس السبيل إلى مقابلتها بكل وغيلة ليجدد لها اعتذاره بنفسه، ويشكر لها صفحتها عنه ورضاها».[3]

لقد اغتبط استيفن كثيرا بمسامحة ماجدولين له فقد طلبت منه أن يحضر كلّ أحد إلى رؤيتها فأسعده ذلك كثيرا وزاده شوقا ومحبة.

«استطاعت أن تمد نظرها إلى أعماق سريرتها حتّى ترى ما في قرارتها تراءى لها شبح "استيفن" في نحوله واصفراره وحزنه واكتئابه وبؤسه وشقائه، ومنظر عينيه المتلألئتين حزنا ودموعا، وقلبه المتقدم حبا وغراما ونفسه الشاعرية الهائمة في أودية

---

[1] الرّواية، ص95.

[2] الرّواية، ص96.

[3] الرّواية، ص100.

الهموم والأحزان، فتحن إليه حنين الغريب إلى داره والشيخ إلى عهود صباه، وتذكر أسامه الماضية التي قظاها هاهنا فتبكي حسرة عليه وإشفاقا بل وجدا به وغراما».[1]

لقد كانت ماجدولين في حيرة من أمرها فقد انبهرت بأضواء الحياة الجديدة وأعجبها كلّ ما فيها ولكن حبها "لاستيفن" لا يزال يراودها فعندما يتذكر معاناته وبؤسه يزيدها ذلك غصة وألما وعندما تسترجع كلّ الذكريات التي عاشاها معا يزيدها ذلك تعلقا به ومحبة.

«لقد أحببتك حبا لم يحبه أحد من قبلي وأخلصت لك إخلاصا لا يضمر مثله أخ لأخيه ولا والد لوالده وأجللتك إجلال العابد لمعبوده، فما خنتك في سر ولا جهر، ولا كذبتك في قول ولا عمل وملأت فراغ حياتي كله بك فلا أنظر إلّا إليه، ولا أشعرإلا بك ولا أحلم إلّا بطيفك، ولا أطرب لرؤية الشمس ساعة شروقها إلّا لأني أرى فيها صورتك».[2]

أرسل استيفن رسالة إلى ماجدولين يخبرها كم أحبها واخلص لها وتمنى أن يتقاسما هذا الحب مع بعضهما لكنّها غدرته وتزوجت أعز رفاقه ولم تفكر في كلّ الّذي أمضياه معا.

«فاسبلي علي ستر حمايتك، فإن ظننت بها فأذني أن أسير وراءك في كلّ مكان تسيرين فيه كما يتبعك كلبك الذليل، لأراك وأسمع صوتك واستنشق الهواء الّذي يحيط بك لأني لا أستطيع أن أعيش في العالم دون أن تكون لي صلة بك».[3]

من شدة هيام استيفن بماجدولين طلب منها أن تهدئه ولو لبرهة وتمنحه عطفها وصداقتها، وهذا كله من أجل أن يراها، ويبقى بجانبها المهم عنده أن نكون أمام ناظريه.

«ظل يقول في ركوعه بصوت ضعيف خافت لا يحسه أحد "اللهم احرسنا بعين عنايتك" واسبل ستر حمايتك، وامنحها السعادة والهناء في نفسها وفي عيشها واكتب لها في صحيفة حياتها ما كنت أسألك أن تكتب لي في صحيفة حياتي».[4]

---

[1] الرّواية، ص113.

[2] الرّواية، ص135.

[3] الرّواية، ص141.

[4] الرّواية، ص148.

في يوم زفاف ماجدولين دخل استيفن الكنيسة واختبأ في سارية من سواريها وعندما دخلت بفستان كانت غاية في الجمال والروعة، فمن شدة حبه لها وولع بها ظل راكعا يدعو الله أن يحرسها بعنايته ويسترها بستره ويكتب لها السعادة والفرح.

«لو رأيت دمعة واحدة على خده لقتلت نفسي حزنا وكمدا وكثيرا ما كنت أتمارض ساعة الفداء أو أتظاهر بالشبع إن رأيت الطعام قليلا في أيدينا حتّى يستطيع أن يأخذ حظه منه، فلا أرى على وجهه صفوة الجوع، وطالما ضممت في الليالي الباردة غطائي إلى غطاءه وأسبلته عليه من حيث لا يشعر رحمة به وحنوا عليه، حتّى إذا أصبح الصباح ورآني نائما بجانبه بغير غطاء ضمني إلى صدره وقبلني، وقال إنك تقتل نفسك يا استيفن من أجلي!؟».[1]

لقد كان استيفن بمثابة الأب والأم لأخيه فحن عليه وواساه في محنته فكان لا يأكل حتّى إذا أكل هو ويتظاهر بالشبع من أجل أن لا يجوع، وكان في الليالي الباردة المطرة يضم غطائه إليه لكي لا يبرد أو يمرض فإذا أفاق في الصباح ضمه إليه وقبله وشعر بالمحبة الغامرة والحنان الوفير.

3 - **العاطفة**:

«فما أنت عليه حتّى ضرب له استيفن طربا ملك عليه قلبه وأحاط بعواطفه ومشاعره وشعر كأنّ الفضاء يدور به، وكأن قد بدلت الأرض غير الأرض والسماوات ثمّ خاف أن يمتد به شواطه إلى أبعد من ذلك فتناهض للقيام.... فانصرف بقلب غير قلبه وعقل غير عقله وحال بين جنبيه غريبة لا عهد له بمثلها من قبل».[2]

استدبت العاطفة في قلب استيفن رويدا رويدا اتجاه ماجدولين فطرب بسماع صوتها وأنس برؤيتها ولقائها وتطاير قلبه نحوها تطاير لهواء المندثر العليل.

وإذا كان والناس جميعهم يحسون بلذعة الحب فإنّ الشاعر لرهافة إحساسه وسمو عواطفه هو أكثر من يحس بجمال الحياة وجمال المحبوبة ويحس بعواطف الرحمة والرأفة والشوق والحنان، ومن ثمّ يستطيع أكثر من غيره أن يعبر عن هذه المشاعر كلها، كما اعتملت في سرائره، منفسا عن كرب الحياة منقصا من تعاسة معايشها.[3]

---

[1] الرّواية، ص190.

[2] الرّواية، ص18.

[3] عبد الدايم الشوا: في الأدب المقارن، ص74.

«قضت ماجدولين ليلتها راكعة في معبدها مستغرقة في صلاتها تدعو الله تعالى أن يعينها على أمرها، وينير لها ظلمة هذه الحياة الجديدة التي تسير فيها، وقد ألمت بنفسها في تلك الساعة عاطفة غريبة متنوعة الألوان مختلفة الأشكال، كأنما هي مزيج من الحب والخوف والسرور والحزن والأمل الواسع، والرجاء الغائب فكانت تبتسم مرة حتّى تلمع ثناياها وتبكي أخرى حتّى يبتل رداؤها، ولا تعلم ما الّذي أضحكها ولا ما الّذي أبكاها ولم تزل على حالها تلك حتّى حلق طائر الكرى فوق أجفانها، فاضطجعت في مصلها، وأسلمت روحها إلى خالقها».[1]

لقد أحست ماجدولين بعواطف متضاربة ومتداخلة فتارة تشعر بالسرور وتارة أخرى بالحزن ومرة بالأمل ومرات باليأس والخوف فتاهت في فيافي نفسها وصرحت بخيالها.

«فزع الأدباء والشعراء إلى نفوسهم ووجدانهم يلوذون بتجاربهم الباطنة.... ويميلون إلى الأصالة والابتكار والتجديد، متحررين في أفكارهم وأساليبهم منبعثين في آثارهم عن انفعال قوي وعواطف متقدة ومشاعر حية» [2].

«أمّا استيفن فقضى ليلة جالسا إلى نافذة غرفته يقلب وجهه في السماء كأنّما هو يساهر كواكبها ونجومها، ويفضي بما ألم بنفسه في تلك الساعة من سروره، إلّا أنّه أصبح يشعر في نفسه ببرد الراحة من البحث عن ضالة غرام ظل ينشدها ويتعلق بآرائها عهدا طويلا حتّى وجدها، وأنّ نفسه التي كانت حبيسة بين جنبيه قد أشرقت عليها شمس الحب فانتعشت ورفرفت بجناحيها في الفضاء».[3]

إنّها العاطفة الجياشة التي تصيب أصحاب بالقلوب الحساسة فتسمو بها وتغوص بها إلى معالم الحلم والخيال والجمال اللامتناهي.

«فهو أظن بك من أن يجرح قلبا يخفق بحبك، أو يخرس لسانا يهتف بذكرك، فعذت باسمك في شدتي كما يعوذ المؤمن في شدته باسم الله، فكان لي خير معاذ وملاذ ولكنه الحب ملأ القلب رحمة وحنانا ويصغر في عينه عظائم الأمور وجلائها ويوحي إليه أفضل الأعمال وأشرفها، أمّا ما لقيت في ذلك اليوم فقد كان فوق ما يحتمل المحتمل، فقد خيل

---

[1] الرّواية، ص18.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النّقد الأدبي الحديث، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1416ه، ص154.

[3] الرّواية، ص19.

إلي أنني أهوى في منحدر لا أعرف له قرار، وأنّ جسمي يتفتح عن روحي تفتحا فتلمس منه إملاس الفرخ من بيضته، فلما ذكرتك استروحت من ذكراك ما استروح يعقوب من قميص يوسف، فلما نجوت علمت أنك سبب نجاتي».[1]

لقد أحسن استيفن اتجاه ماجدولين بعاطفة جياشة ملتهبة فحتى في أصعب لحظات حياته وهو يواجه الموت لم يلفظ باسم غير اسمها ولم يتذكر إنسان غيرها، لذا كانت عاطفة صادقة من القلب مفعمة بالأحاسيس والمشاعر الحية.

«ثمّ رفعت رأسها فإذا دمعة رقراقة تترجح في محجريها... قالت: إنّما أبكي خوفا من الحب، وما أنا إلّا فتاة مسكينة متقطعة أشعر بالحيرة التي تشعر بها كلّ فتاة لا أم لها ترشدها ولا ناصر لها يعينها».[2]

لقد كانت ماجدولين في حيرة من أمرها وسبقتها دموعها في التعبير عن إحساسها فقد كانت فتاة مسكينة يتيمة دون أم نحن عليها وتعينها على هموم الدنيا ومتاعب الحياة فكانت في حالة من التوتر والارتباك.

«لا تخافي من الحب يا ماجدولين، ولا تخافي من غضب الله فيه، واعلمي أنّ الّذي خلق الشمس وأودعها النور والزهور وأودعها العطر، والجسم وأودعه الروح، والعين وأودعها النور، قد خلق القلب وأودعه الحب، وما يبارك الله شيئا كما يبارك القلبين الطاهرين المتحابين لأنّهما ما تحابا إلّا إذعانا لإرادته، ولا تعاقدا إلّا أخذا بسنته في عباده، فأمددي يدك وأقسمي بما أقسم به أن نعيش معا فإذا قدر لنا أن نفترق كان ذلك الفراق آخر عهدنا بالحياة، فمدت إليه يدها فتقاسما وتعاهدا، وكانت الشمس قد انحدرت إلى مغربها فافترقا».[3]

لقد وعد استيفن ماجدولين بالحياة السعيدة والحب الوفير وأقسما عهدا أمام الله أن لا يفرقهما إلّا الموت.

---

[1] الرّواية، ص32.

[2] الرّواية، ص33.

[3] الرّواية، ص33.

«اكتبي إلي كثيرا، وحدثيني عن كلّ ما يحيط بك من الأشياء، وما يعرض لك من الشؤون، صغيرها وكبيرها، لأحد على البعد عنك لذة القرب منك، واجعلي حبك عونا لي في مقاصدي وآمالي، فحبك هو الّذي يحييني، وهو الّذي من أجله أعيش وأبقى».[1]

لقد طلب استيفن من ماجدولين أن تعينه في غربته ومصيبته وإن تطلعه على كلّ ما يجري من حولها وإن تحبه دائما لأنّ حبه يعينه على غربته.

«لذلك احببتك يا إدوارد، واتخذتك صديقا، وكان الشقاء هو الوثيقة التي تعاقدنا فيها أن يكون كلّ منا عونا لصاحبه على دهره وجنة له من دون نكبات الأيام وأرزائها، مهما تقلبت بهما الأحوال، أو فرقت بينهما الأيام».[2]

لقد أحب استيفن إدوارد كثيرا وكان له نعم السند والمعين في نكبته ومحنته .

«إني لا أحب إلّا من يحبني، ولا أكرم إلّا من يكرمني، ولا أذعن إلّا لرأيي وإرادتي، ولا أبيع حياتي وحريتي حتّى لخالقهما الّذي منحتني إياهما بثمن من الأثمان مهما غلا»

لقد هاجمت عاطفة استيفن وطاش باطن عقله وصرح في وجههم وقال لهم أنّه حر في حياته وطلب منهم عدم التدخل في حياته وأنّها ليست للبيع والتجارة.

«فبكى قريبه مرثاة له ممّا هو فيه وقال له: وارحمتاه لك أيها البائس المسكين، ثمّ دس له في جيبه بضع قطع من الذهب، لم ينتبه لها استيفن إلّا بعد ذهابه، فشكرها له في نفسه، ثمّ مضى لسبيله».[3]

لقد تأثر استيفن بما حل به وما ألم بحاله وبسم عاطفة القرابة بكى لحاله وألقى في جيبه بعض النقود.

«فبعث ذكرك في نفسي قوة غالبت بها الطبيعة وعواطفها وثلوجها وبروقها ورعودها، حتّى بلغت المنزل بعد لأي فسقطت مريضة محمومة».[4]

بمجرد أن تذكرك ماجدولين استيفن هدأت نفسها وتحدت كلّ مظاهر الطبيعة القاسية وتماسكت عزيمتها.

---

[1] الرّواية، ص54.

[2] الرّواية، ص84.

[3] الرّواية، ص61.

[4] الرّواية، ص65.

«إنني لم أسد إليك يدا تستحق مكافأة، ولكنك صديقي وللصداقة آثارا طبيعية تتبعها وتنبعث وراءها جريان الماء في منحدره، فإنّ كنت لابد شاكرا فشكر الصداقة التي ظللتنا بجناحيها مذ كنا طفلين صغيرين، والبؤس الّذي لف شملي بشملك».[1]

لقد أسدى استيفن معروفا كبيرا لإدوارد فقد كان له نعم الأخ والصديق في محنته وتقاسم معه الحلوة والمرة ولما بدمعه المحن والأهوال وجمعتهما عاطفة الأخوة والمحبة.

«نفسي بنفسك وحلو قلبينا القريحين الكبيرين إلى قلب واحد، وإن قدر لك يوما من الأيام أنّ تمديدك لمعونتي فليكن ذلك منك إذعانا لرحمة قلبك وحنانه لا مكافأة على خير، ولا مجازاة على معروف».[2]

لقد حولتهما الظروف القاسية إلى قلبين مجتمعين رغم أنّهما عاشا القسوة والألم.

«وكنت على مقربة من كوخ صديقي "فرتز" وهو فلاح فقير أسدى فيما مضى من الأيام صنيعة لا أزل أحفظها له حتّى اليوم، فلجأت إليه فخيل إلي حين دخلته أنّه مقفر موحش ليس به أنيس، ثمّ أضاء البرق فرأيت في داخله منظرا من أجمل المناظر وأبدعها، رأيت زوج الرجل وأولاده جافين على أقدامهم خاشعين باسطي أيديهم إلى السماء يدعون الله تعالى بدعوات جميلة يرددونها بصوت شجي محزن، فخيل إلي ولا مصباح هناك ولا ضياء، أني أرى إشراق وجوههم وتلألؤها في هذه اللجة الحالكة، وأحست بي المرأة فالتفتت إلي وقالت: لم يعد "فرتز" حتّى الساعة، ونحن نخشى أن يكون قد أصابه مكروه من أهوال تلك الليلة، فنحن ندعو الله تعالى أن يرده إلينا سالما، فأثر في نفسي هذا المنظر تأثيرا شديدا».[3]

لقد قص استيفن على ماجدولين هول العاصفة التي حلت به والتجائه إلى بيت أو بالأحرى كوخ صديقه "فرتز" الّذي تبدي له منظره من الخارج موحش ومقفر، وعندما أضاء البرق أرجاء المكان رأى داخله منظر مملوء بالحياة والعاطفة الإنسانية فكانت العائلة في خشوع تام يدعون الله لأنّ يعود لهم سالما، فرغم الظلمة الحالكة التي كانت هناك فقد لمع نور جميل براق من وجوههم وانتبت زوجة "فرتز" إلى استيفن وأخبرته

---

[1] الرّواية، ص81.

[2] الرّواية، ص82.

[3] الرّواية، ص85.

بأنّهم ينتظرونه على أحر من الجمر وأنهم يخشون عليه من مكروه قد أصابه من هول العاصفة وأنهم يدعون الله لكي يعود إليهم.

«سافر وقلبه يخفق فرحا وسرورا حتّى وصل الي ضاحية القرية، فترك العجلة مكانها، وأمر السائق أن ينتظره حتّى يعود ونزل يمشي على قدميه ويقلب نظره في تلك المعاهد التي قضى فيها أيام سعادته الأولى وأشرق على قلبه من سمائها أوّل شعاع من أشعة الحب، فرأى الغابة التي كان يهيم فيها وحده في الليالي المفسرة مناجيا نفسه بحبه وغرامه ومصورا لها أعذب الآمال وأحلامها».[1]

لقد عاد استيفن بعد بعد غياب دام طويلا وعادت معه الآمال والأحلام والتطلعات دخل المنزل وقلبه، يتطاير من الفرح والسرور، وقلب نظره في أرجاء الحديقة بين أشجارها وأزهارها يسترجع ذكرياته الماضية مع ماجدولين وقلبه تتزايد دقاته وصل إلى الغابة التي كان يهيم فيها على وجهه في الليالي المقمرة مناجيا الليل بهمومه ومشاكله.

«الليل الموحش، والشاعر هو الّذي يسمع في سكونه وهدوئه أنين الباكين وزفرات المتألمين، وأصوات الدعاء المتصاعدة إلى آفاق السماء ويرى صورا الأحلام الطائفة بمضاجع النائمين، وخيالات السعادة والشقاء الهائمة في رؤوس المجدودين والمحدودين».[2]

إنّ الشاعر صاحب قلب شقي يتوجع لآهات الموجوعين ودموع الباكين والمتألمين، فهو إنسان غير اعتيادي ذو حس عال مرهف يهيم بخيالاته الواسعة في أحلام المبدعين وفي تطلعات الطامحين.

«ووضع ألحانا جديدة محزنة كانت تتفجر من ذلك القلب المصدوح تفجر المياه الصافية من صدوع الأحجار فتنساب في أفئدة البائسين والمحزونين وتتغلغل في أعماق قلوبهم حتّى تبلغ سويداءها».[3]

لقد كان استيفن مأجج العاطفة مفعما بالإحساس استطاع بعد عناء أن يتجاوز نكبته وأن يجد لنفسه طريقا جديدة ومسار يستطيع فيه أن يلملم جراحه ويداري أحزانه فبرع في

---

[1] الرّواية، ص122.

[2] الرّواية، ص161.

[3] الرّواية، ص163.

الموسيقى براعة لا مثيل لها وانبثقت من قلبه الجريح أعذب الألحان الحزينة والمؤثرة، فتغلغل في قلوب المنكوبين والمتألمين.

«ليس أشعر الشعراء أحفظهم لقواعد اللّغة وقوانينها بل أدقهم شعورا وألطفهم حسا، وليس أفضل المغنين أعلمهم بفنون النغم وضروب الإيقاع، بل أنطقهم قلبا وأفصحهم فؤادان وما ملك نوابغ المسلمين أفئدة النّاس وقلوبهم في مواقف تمثيلهم، ولا استدروا دموع الباكين من محاجرها إلّا لأن لهم قلوبا حزينة متفجعة تتأثر بصور الوقائع التي يمثلونها».[1]

الشعر قبل أن يكون نظم وقافية هو عاطفة وإحساس صادق والموسيقى والفن إبداع من القلب والفؤاد والممثل الناجح هو من يستطيع نقل صورة واضحة عن الواقع بكل حذافيره، فكل عمل ناجح مبني على عاطفة جياشة متأرجحة.

«وجملة حاله معها أنّه كان يجمع لها في قلبه في آن واحد بين عاطفتين مختلفتين: عاطفة الرضا، وعاطفة السخط، فهو يحبها لا يستطيع مقاطعتها ويجد عليها فلا يريد أن تشعر بحبه إياها».[2]

لقد كان استيفن ذا أخلاق راقية وحس مرهف، فهو فنان ومبدع وهذه سمة لابد منها لكل من يحمل رسالة هذا الفن فلم يشعرها بأنّه ينبذها وساخط عليها إلّا في أعماق نفسه، فهو يحبها ولا يستطيع أن يجابهها ولكنه كذلك لا يستطيع الصفح عنها.

4 - **الألم**:

تحوي الرّواية العديد من مظاهر الألم والتفجع التي تعاني منها شخصياتها المليئة بالزفرات المؤلمة والمتأججة.

«من ماجدولين إلى سوزان.... إني أشعر أنّ الحياة مظلمة قاتمة وأنّ هذا الفضاء على سعته وانفراج ما بين أطرافه ضيق في أعيني من كفة الحابل، وأنّ منظر العالم قد استحال لشيء غريب لا أعرفه ولا عهد لي بمثله».[3]

«أحس الرومانسي بالقلق وشعر بالحزن، ممّا حدا به إلى الهروب إلى الطبيعة أو إله عاطفي أو إلى داخل نفسه، يفتش عن ذاته التي عاشت عزلة وانطواء فعاش في غربة

---

[1] الرّواية، ص164.

[2] الرّواية، ص180.

[3] الرّواية، ص06.

نفسية داخل عالمه الخاص الّذي كان يميزه عن سواه، لكن غربته تلك قادته إلى فلسفة قوامها أنّ الإنسان عندما تتزايد حدة شعوره بالدناءة البشرية، كان يسعى إلى وسيلة للمعالجة الإيجابية، فيفرض على نفسه هروبا من التضحية، وينزل بها ألوانا من الآلام والعذاب التي سرعان ما تتحول إلى مصدر لأفراحه وملذاته النفسية وأنّها الوسيلة الوحيدة لقهر عيوب الجسد والقلب والنفس ومدعاة لمرضاة الله»[1].

سار الألم سريان التيار الجارف في كلّ أجزاء الرّواية وتغلغل بين أحداثها فتعالت الآهات وتزايدت الصرخات المؤلمة أيا ما كان الألم الّذي تعانيه في شبابك.

دع هذا الجرح المقدس يتسع
وقد ابتلتك به الملائكة السوداء
وحفرته بقلبك
فلا شيء يجعلنا كبار كالألم[2] (موسيه)

فماجدولين تشعر بألم كبير وعميق داخل نفسها الحزينة ولا تجد من لذلك مهربا أو مفرا.

«يقولون إنّ فصل الربيع فصل الحب وأنّ العواطف تضطرهم في اضطراما فتأنس النفوس بالنفوس، وتقترب القلوب وتملأ الحدائق والبساتين لجماعات الطير صادحة فوق زواهر الأغصان وجماعات النّاس سائحة بين صفوف الأشجار، أمّا أنا فلا أصدق من كلّ هذا شيئا، فإنّ أجمل الساعات عندي تلك الساعة التي أخلو فيها بنفسي فأناجيها بهمومي وأحزاني وأذرف من العبارات ما أبرد به تلك العلة التي تعتلج صدري»[3].

ما يشيع أحيانا في الأدب الرومانسي من تصوير للآلام تارة والطبيعة تارة أخرى حين يهرعون إليها ليتخوفوا من الواقع المؤلم في حياتهم وفي ماضيهم، وهكذا يجد الرومانسيون في شعرهم متنفسا يستريحون إليه حين يصدمهم الواقع أو يأخذهم الماضي بآلامه فنراهم يستريحون ويستردون في أشعارهم كما يستريح الحزين بالبكاء ويجد من الدموع ما يلطف لهيب قلبه[4].

---

[1] فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، ص178.

[2] إليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص01.

[3] الرواية، ص07.

[4] حامد حنفي داود: تاريخ الأدب الحديث، تطوره، معالمه الكبرى، مدارسه، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون- الجزائر، 1993، ص113.

«وأعجب ما أعجب له من أمري نفسي أنني أبكي على غير شيء وأحزن لغير سبب، وأجد بين جنبي من الهموم والأشجان مالا أعرف سبيله ولا مأتاه حتّى يخيل إلي أحيانا أنّ عارضا من عوارض الجنون، قد خالط عقلي فيشتد خوفي واضطرابي»[1].

لقد كان الألم دون سبب ولا مبرر بل هفوة من هفوات النفس وخلجاتها العابرة.

«إنّ اللذين يعرفون أسباب آلامهم وأحزانهم غير أشقياء لأنّهم يعيشون بالأمل ويحيون بالرجاء، أمّا أنا فشقية لأني لا أعرف لي داء فأعالجه ولا يوم شفاء فأرجوه»[2].

تسرب الزفرات المؤلمة والأحاسيس الموجعة إلى الكيان الداخلي بلا أدنى بواعث أو محفزات.

«كلّ أسباب العيش حاضرة لدي، وأبي لا يعرف لسعادة في الحياة غير سعادتي، ولا هناء غير هنائي، ولا يعجبه منظر من مناظر الجمال غير سعادتي، ولا هناء غير هنائي، ولا يعجبه منظر من مناظر الجمال في العالم سوى أن يراني باسمة، ويرى أزهار حديقته ضاحكة بل ربما أغفل أمر حديقته أحيانا حتّى تذبل أوراقها وتموت زهراتها في سبيل قضاء مرافقي وحاجتي فأنا إن شكوت فإنّما أشكو بطرا وأشرا وكفرانا بأنعم الله التي يسبغها علي ويسديها إلي، فغفرانك اللهم ورحمتك، فإني لما اعترفت بجميلك، ولا أحسنت القيام بشكر أياديك...»[3].

لقد كانت ماجدولين تشعر بأوجاع وأحزان غريبة لا تدري منبعها .

«رحمتك اللهم وإحسانك، فأنت تعلم أني رجل ضعيف لا ناصر لي، ولا معين فكن أنت ناصري ومعيني، اللهم إني اعترف بأني أذنبت إليك في اعتزازي بنفسي، واعتدادي بحولي وقوتي، وإني اغفلت قضائك وقدرك»[4].

لقد أوشك استيفن على الجنون من خلال تلقيه رسالة السيد مولر التي يطلب منه فيها بالرحيل عن منزله والابتعاد عن ابنته ماجدولين وتركها في سبيلها والرحيل بعيدا.

---

[1] الرواية، ص07.

[2] الرواية، ص07.

[3] الرّواية، ص08.

[4] الرّواية، ص45.

«فأثر منظره في نفسها، وأخذت تبكي لبكائه، وتدعو بدعائه حتّى التفت فرآها، فخفق قلبه خفقا متداركا، وتعلقت أنفاسه وجمد نظره وتزايلت اوصاله، حتّى ماكاد يتحرك من مكانه، فمد إليها يده كالمستغيث المتلهف»[1].

عندما رأت ماجدولين استيفن جاثيا على قدميه آثر فيها منظره ولم تتمالك نفسها فبكت لبكائه وتألمت لما حل بهما فمد يده إليها متوسلا مستعطفا.

«واعلم أنّ الله ما ألهمني الصبر عنك، وألهمك مثل ذلك في مثل هذا الموقف الّذي تطيش فيه العقول وتطير رواجع الأحلام، إلّا وقد أراد منا خيرا في جميع شؤوننا»[2].

لقد أرادت ماجدولين أنّ تواسي "استيفن" في محنته وتمد يدها إليه وتواسيه في محنته.

«فألقى على تلك المناظر كلّها نظرة عامة لم يسترجعها إلّا مبللة بالدمع حينما ذكر أنّه سيفارق عمّا قليل هذه الدار، وبفارق بفراقها سعادته وهناءه، ويفارق ظلال الزيزفون التي كان يجلس إليها مع ماجدولين.... فلم يزل يبكي بكاء الشيخ على عهود صباه، حتّى كادت تتلف نفسه»[3].

لقد كانت تلك لحظات حرجة وأليمة بالنسبة إلى استيفن كونه سيترك كلّ الذكريات الجميلة التي عاشها في ذلك المنزل إضافة إلى الحالة التي طرد فيها من طرف مولر.

«سافرت يا استيفن وأصبحت بعيدا عني، وما أحسب أني أراك في عهد قريب، فما أعظم بؤسي وشقائي، وما أشد ظلمة الوحشة المحيطة بي، لقد خدعت نفسي يوم أشرت عليك بالسفر، فقد ظننت أنّ بين جنبي ذخيرة من الصبر والاحتمال، أقوى بها على تجرع كأس فراقك المريرة، فلما فقدت وجهك علمت أني فتاة ضعيفة بائسة، لا تقوى على احتمال أكثر ممّا تطيق من الآلام والأحزان، وأني فيما أدليت به إليك من تلك النصيحة، إنّما كنت أحدث عن خواطر عقلي، لا عن شعور نفسي»[4].

أصبحت "ماجدولين" تختنق رويدا رويدا بعد سفر "استيفن" ولا تطيق العيش بدونه وأضحت الحياة كلها ظلمة وحرقة.

---

[1] الرّواية، ص46.

[2] الرّواية، ص47.

[3] الرّواية، ص48.

[4] الرّواية، ص49.

«لقد كنت أرجو أن يكون آخر عهدي بك يوم رحيلك وقفة اقفها في نافذة غرفتي اجيبك فيها تحية الوداع، وألقي عليك فيها آخر نظرة من نظرات الحب، لولا أنني خفت عليك الجزع أن تراني باكية وعلى نفسي التف أن أراك جازعا فافتديتك وافتديت نفسي بهذه اللوعة التي تتأجج اليوم في صدري، فما أصعب الوداع، وما أصعب بالفراق بلا وداع!؟»[1].

إنّ الأمر الّذي زاد من معاناة "ماجدولين" أنّها لم تتمكن من توديع "استيفن" خوفا عليه من عذاب قلبه وآلام فؤاده الكبيرة عندما يرى دموعها المنحدرة وعلى نفسها من انفطار قلبها، فأثرت عدم رؤيته على ألمه وعذابه.

«فانتفضت والقيت نظري على مكانك الّذي تخيلته بجانبي فوجدته خاليا، فعلمت أنّ تلك الساعة الجميلة التي مرت بنا تحت هذه السماء الصافية، وفوق تلك المقاعد الجميلة، وبين مشتبك هذه الغصون والاوراق قد ذهبت، ولم يتبق لي منها غير ذكراها، فبكيت ساعة طويلة لا علم لي بمداها، ثمّ استفقت فصعدت إلى غرفتي وجلست إلى منضدتي أكتب إليك هذا الكتاب»[2].

لقد مرت على ماجدولين ساعة تذكرت في الأماكن التي قضتها مع أستيفن أجمل الذكريات وأعذبها في أحضان الطبيعة وبين ربوعها وأدركت أنّها لم تبقى لها سوى الذكرى وأنّ استيفن لم يعد موجود.

«لم تكن الأربعون ساعة التي مرت بي لتخفيف شيء من همومي وأحزاني فلقد قضيتها حائرة الذهن مشردة اللب أقلب عيني في كلّ مكان فلا أجد في بارقة من بوارق الحقيقة ولا سانحة من سوانح الخيال عزاء ولا سلوى فصعدت إلى غرفتك المهجورة علني اجد في مقامي بها ساعة علاج ما أكابده من هموم وأحزان، فلما بلغتها ووضعت يدي على مفتاحها شعرت برعشة شديدة ملأت ما بين قمة رأسي إلى أخمص قدمي»[3].

لقد زاد بعد استيفن حيرة وألم في نفس ماجدولين فلم تهنأ لعيشة ولا يوم واحد ولتطفئ لوعة قلبها أرادت زيارة غرفته فزادها ذلك الما شديدا.

---

[1] الرّواية، ص49.

[2] الرّواية، ص50.

[3] الرواية، ص51.

«سأحمل نفسي يا "استيفن" على الصبر عنك حتّى يطوي القدر مسافة البعد بيني وبينك، وستكون علتي التي أتعلل بها منذ الساعة كلّما هاج بي هائج الشوق إليك، إنك ما بعدت عني إلّا لتقترب مني، ولا فارقتني إلّا لأنك اثرت اجتماعا آمنا طويلا على اجتماع مصدر غير مأمون»[1].

لقد كانت مراسلات "ماجدولين" مليئة بالآلام والزفرات الموجهة فكانت تحكي "لاستيفن" عن كلّ ما يمر بها وتطلعه بسير الأحداث وما يحل بها.

«شعرت في فترة من فترات السكون التي تتخلل سكرات بالحمى أني أستطيع النهوض من فراشي، فكتبت إليك كتابا أوحيت لك فيه بجميع ما تملك يدي، وما تملك يدي إلّا كتبي ومحفظة رسائلك والخاتم الذي نسجته من شعرك.... وأعطيتيه "لجنياف" لتوصله إليك بعد موتي ولكن الله كان أرحم بي وبك من أن يحرمني منك ويفجعك بي»[2].

لقد عانت ماجدولين من سكرات الموت وكابدت المرض ولم تفكر إلّا في "استيفن" أثناء فترات مرضها وأرادت أن توصي له بكتبها ورسائلها لتخبره بأنّه أغلى ما تملك في هذه الدنيا، غير أنّ الله رأف بحالها.

«الرجل الّذي يسخرون منه وتناولوه متحدين بألسنتهم ويذهبون كلّ مذهب في تعميقه وتجهيله والسخرية به، إنّما هو خطيبها الّذي تحبه وتستهيم به فأمسكوا عن الضحك هنيهنة وأقبلوا عليها يعللونها حتّى هدأ ما بها»[3].

لقد كان ألم "ماجدولين" كبيرا عندما هزأ أصدقاها من استيفن وحالته فشعرت كأنّ قلبها قد انفطر فتظاهرت أنّها ليست بخير لكي تتدارك الوضع المؤلم الّذي حل بها.

«ذكرت آماله وأحلامه، وبؤسه وشقاءه، وما يكابده في حياته من شدة وبلاء، في سبيل عيشه مرة وحبه أخرى، فبكت، رحمة به، وإشفاقا عليه.

وهكذا أخذ حبها يستحيل إلى رحمة وشفقة، والحب إذا استحال إلى هذين فقد آذن نجمه بالأفول»[4].

---

[1] الرواية، ص52.

[2] الرّواية، ص65.

[3] الرّواية، ص92.

[4] الرّواية، ص94- 95.

لقد تأملت كثيرا لمعاناته وآلمه الّذي لا يزال يرافقه فوضعه لا يزال على حاله ولم يتغير بتغير طارئ على حياته فبكت لذلك كثيرا وأشفقت عليه وعلى حاله وبدل من أن تحبه أشفقت عليه وبهذا انطفت جذوة الحب التي كانت تكنها له.

«دفع الباب بغتة وخرج منه فتى متأنق من الزائرين يهز في يده سوطا مستطيلا فرآه واقفا فظنه بعض الخدم فصرخ في وجهه بلهجة الآمر أن يدعو له سائق عجلته، وسماه له، فارتبك قليلا، ثمّ لم ير بدا من الامتثال مخافة أن ينكشف من أمره ما كان خافيا فهرع إلى الباب الخارجي يهتف باسم غير الاسم الّذي سمعه وكان قد نسيه فأدركه الفتى، وقد طار الغضب في دماغه فضربه بالسوط على وجهه ضربته أدمته وأخذ يسبه ويشتمه، فاحتمل استيفن تلك الضربة صامتا، ومشى في طريقه لا يلوي على شيء»[1].

لقد اختبئ "استيفن" بين الخدم وذلك لرؤية ماجدولين فرآه فتى غاضب فحبسه خادمه فصرخ عليه لكن "استيفن" ارتبك كثيرا لذلك وتفوه بعكس ما أمره الفتى فتسبب في غضبه فنقض عليه بضربة سوط أسالت دمه وتسببت له بألم كبير لا يقوى على احتماله بشر فأسرها في نفسه ومضى في طريقه متألما.

«دخل عليه "استيفن" في ساعة من ساعات الليل فرآه ساهرا يئن من الآلام والأوجاع، وقد نال منه الداء منالا عظيما، فأصبح لا يستطيع النطق إلا همهمة وتجمجما، فجلس بجانبه يتوجع له ويواسيه حتّى استطاع الرجل بعد لأي أن يقول له، لقد مرت في بضعة أشهر، وأنا طريح هذا الفراش لا أفارقه لحظة واحدة متى مللت وبرمت، وأصبحت أخشى غائلة الضجر أكثر ممّا أخشى غائلة المرض، فلا تفارقني بعد الموت حتّى يحكم الله في أمري بما يشاء»[2].

قام استيفن بزيارة قريبة المريض الّذي يعاني الوحدة والعزلة والمرض، فذهب إليه يواسيه ويعينه في محنته فوجده في أشد حالاته النفسية الكئيبة يعاني الألم والمرض والأوجاع الكبيرة فاعتنى به وداراه في محنته.

---

[1] الرّواية، ص103.

[2] الرّواية، ص104.

«فلبث معه الثلاثة الأيام التي أجازوه بها ثمّ عزم على العودة فتوسل إليه المريض بانكسار عينيه وترقرق الدمع فيها ألا يفارقه حتّى يقضي الله في أمره بقضائه، وكان قد ثقل وأشرف وأصبح على حالة لا ترجى له معها الحياة»[1].

عندما قرر استيفن العودة إلى دياره ترجاه قريبه المريض أن لا يتركه ويقضي معه بضع أيام إضافية فرأف بحاله وبقي معه ولم يتركه يتألم بمفرده.

«صاح صيحة عظمى دوت بها أرجاء الفرقة قائلا: ما هذا؟ هل فقدت ماجدولين؟ ثمّ أطرق إطراقا طويلا لا يعلم إلّا الله أين سبحت نفسه فيه، ولبث على ذلك ساعة ثمّ رفع رأسه فإذا عيناه جمرتان ملتهبتان وإذا وجهه أسود مريد كأنّما قد لبس نسيجا غير نسيجه فدار بنظره في أنحاء الغرفة دورة الحية الرقطاء بجوهرتها في جنبات جحرها»[2].

لم يستطع "استيفن" احتمال كلّ ما يجري حوله فقد ضاق ذرعا بكل ما يحيط به وانتفض انتفاضة شديدة كأنّه فقد عقله وسرحت روحه واستغرق في تفكيره طويلا وطار آخر عقل برأسه فراح يصول ويجول في الغرفة ويحدث نفسه والألم والشقاء يكبله من كلّ جهة.

«فاستعبرت "ماجدولين" باكية، وما بكت إلّا رحمة بذلك البائس المسكين وإشفاقا عليه أن يناله بسببها هذا الشقاء العظيم، وأطرقت ماليا ثمّ رفعت رأسها وقالت دعيني الساعة وحدي يا سوزان فإنني في حاجة إلى الخلوة بنفسي»[3].

لم تقوى ماجدولين على احتمال كلّ تلك الضغوطات التي تعيشها من طرف الأهل والأصدقاء فزادها هذا حسرة وألم فنهارت بالبكاء من أجل ذلك الرجل البائس الّذي أجبها كلّ الحب وضحى من أجلها فما استطاعت الاستقرار على أمر.

«فانتفض "استيفن" انتفاضة شديدة وعلت جبينه سحابة بيضاء لم تزل تتسع وتستفيض حتّى لبست وجهه كله فصار كأنّه البرد الناصع واسترخت يداه كما يكسر الطائر جناحيه للوقوع وشعر بتخاذل أطرافه فتراجع إلى شجرة وراءه فأسند إليها ثمّ نظر

---

[1] الرّواية، ص104.

[2] الرّواية، ص106.

[3] الرّواية، ص117.

إلى ادوارد نظرة يقطر منها الدم وقال له تلك الكلمة التي قالها "يوليوس" قيصر حينما طعن من خلفه فالتفت فرأى أن الّذي طعنه هو صديقه وصفيه "حتّى أنت يا "بروتس"»[1].

لقد ازداد ألم "استيفن" شيئا فشيئا ولبس السواد وجهه والعتمة جبينه وتطايرت أجزاء عقله وشعر برعشة شديدة في جسده فاسترخت يداه وخارت قواه ولبرهة شعر أنّه طعن من وراء ظهره فإدوارد كان صديق طفولته ورفيق دربه فقد عاشا معا وكبرا معا ومع ذلك غدر به ولم يأبه لأمره فلم يصدق كلّ الّذي جرى من حوله.

«أعطته يدها وتبعته صامتة مطرقة حتّى دخلا البيت وتركاه في مكانه ينظر إليهما وهما يبتعدان عنه شيئا فشيئا حتّى اختفيا وسمع خفق الباب وراءها فظل شاخصا إلى الباب الّذي دخلاه لا يتحرك ولا يطرف ولا تبعث له جارحة ولا ينبض له عرق»[2].

إنّ الأمر الّذي ازداد من معاناة وألم استيفن تجاهل ماجدولين له وخضوعهما لأمر "إدوارد" فلما أعطته يدها وتركاه لوحده شعر وكأن هموم الدنيا كلها واقعة على رأسه فدخلا المنزل وسمع خفق الباب من وراءها فتلاشت أجزاء عقله وبقي ذاهلا في مكانه لا يتحرك ولا يتنفس وكأن الصاعقة قد نزلت به.

«إكراما للصداقة التي بيني وبينك أستطيع أن أجيبك على سؤالك هذا جوابا موجزا فأقول لك: إني أختلف إلى بيت الشيخ مولر لأني خطيب ابنته، وسأبني بها بعد شهر واحد ولو شئت لحضرت حفلة عرسنا، بل أنا أدعوك إلى ذلك، فارتعدت شفتا استيفن وشعر بالموت يتسرب إلى قلبه قليلا قليلا، وقال له بصوت خافت ضعيف: أتعني ماجدولين؟ قال نعم، وليس لمولر ابنة غيرها»[3].

لم يصدق "استيفن" وقاحة إدوارد وبرودة أعصابه، فقد أخبر صديق عمره ورفيق صباه أنّه خطيب الفتاة التي أحبها وتألم من أجلها وكان يعلمه بكل ما يدور بينهما.

«ليت شعري! هل يصل صوتي إلى أعماق قلبك يا مجدولين كما كان يصل إليه قبل اليوم؟ وهل تستطيعين أن تتصوري كما كنت تتصورين من قبل أنني أحبك لنفسك

---

[1] الرّواية، ص126.

[2] الرّواية، ص127.

[3] الرّواية، ص130.

أكثر ممّا أحبك لنفسي، وأنني فيما أفضيت به إليك من تلك النصيحة وما أردت سعادتك وهناءك أكثر ممّا أردت سعادة نفسي وهناءها!» [1].

ازداد تفجع وحرقة "استيفن" وأراد أن يتأكد أنّ ماجدولين قد نسيته فعلا وتناست كلّ ذكرياتهما والأمر الّذي ازداد من تفجعه بأنّه يعرف إدوارد أكثر من ماجدولين فهو يدرك طيشه وتهوره على صلاحه وهدوئه.

«أنت تعلم يا "استيفن" أنني فتاة فقيرة وأنك فتى لا مال لك، أو لا تملك من المال ما يقوم بشأنك زوجا ووالدا، فخير لي ولك أن نفترق وإن يسلك كلّ منا حياته الطرية التي يعلم أنّها تنتهي إلى سعادة عيشه وهنائه أحببنا ذلك أم كرهنا»[2].

أرسلت "ماجدولين" رسالة إلى "استيفن" تخبره فيها أنّها اختارت حياتها الجديدة ووجب عليه هو كذلك أن يختار حياته ويباشر بنسيانها وأنه فقير معدم وهي كذلك فإن ضمت فاقتها إلى فاقته زادهما ذلك حزنا وشقاء فهو لا يستطيع أن يؤسس عائلة أو يبني بيتا.

«بدأ القسيس يتلو صلاته وجاءت الساعة التي ينطق بكلمته الأخيرة التي لا مرد لها ولا رجعة فيها، فشعر "استيفن" أنّ قلبه يخفق خفقا شديدا ويضرب ضربا يعلو صوته على أصوات النواقيس فأمسك بكفيه على أحشائه وأغمض عينيه وقبع في أعماق نفسه واستلهم الله الصبر على نكبته، ثمّ غشيته غاشية لم يشعر بها كان فيها حتّى استفاق بعد ساعة فإذا الكنيسة خالية مقفرة تختلج الظلمة في أرجائها وتضرب الرياح الليل بالباردة في نوافذها»[3].

عندما أعلن القسيس أنّ الزواج قد تم شعر "استيفن" أنّ قلبه يكاد يخرج من صدره وضرباته تتزايد وتقوى شيئا فشيئا وعلت على أجراس الكنيسة فكبت ألمه وأمسك نفسه وقرر أن يصبر على نكبته فإذا به بعد ساعة في الكنيسة لوحده مغشيا عليه.

«فتح عينيه بعد قليل ونظر إلى "جوزيفين" وقال لها: أين ثيابي التي أمرتك بإحضارها؟ أمّا تعلمين أنّ اليوم يوم الأحد وهو موعد ذهابي إلى الكنيسة للاحتفال بعقد

---

[1] الرّواية، ص137.

[2] الرّواية، ص146.

[3] الرّواية، ص148.

زواجي؟ فأطرقت المرأة واجهة وأدارت ماجدولين وجهها حتّى لا يرى أحد اصفرارها»[1].

لقد أضحى "استيفن" مجنونا دون عقل فأصبح يهذي وأمر "جوزيفين" أن تهيأ شؤونه لأنّه في يوم زفافه مع ماجدولين فذهل الجميع من شدة الصدمة التي ألمت به أمّا ماجدولين فاصفر وجهها وتبدل حالها وكادت تسقط من طولها عندما رأت ما ألمت به.

"لبث "استيفن "في سرير مرضه شهرين كاملين كابد فيهما من آلام النفس والجسم ما قدر له أن يكابده، ثمّ أبل قليلا فهجر فراشه وأخذ يهيم على وجهه ليله ونهاره، ينام حيث يجد مضجعا لينا أو خشنا، ويأكل حيث يجد لقمة بيضاء أو سوداء لا يستقر بمكان ولا يأوي إلى ظل»[2].

بعد زواج "ماجدولين" كابد "استيفن" الويلات فعانى المرض والوهن والألم النفسي والجسدي، فقد صار لا يأبه لحاله وإن أكل أو شرب لم يبالي بحاله ولا بما يجري له.

«وأعظم ما أشكو من الهموم في حياتي معه أنني أصبحت أشعر منذ أيام طوال أنني أعيش في عزلة منقطعة عن العالم كله لا أنيس لها فيها ولا سمير، فإذا مر بخاطري فكر من الأفكار أو اختلج في نفسي غرض من الأغراض، أو خفق قلبي خفقة سرور أو حزن أو ارتياح أو انقباض لا أستطيع أن أفضي إليه بشيء من ذلك مخافة ألا يفهمه أو يفهم منه غير ما أريد فيزدريه ويزدريني من أجله، ويوسعني هزءًا وسخرية فلا أجد لي بدا من أن أتكتمه في نفسي وأطويه بين أضلاعي»[3].

لقد انقلبت حياة "ماجدولين "رأسا على عقب فلم تصدق ما الّذي غير إدوارد من ناحيتها فقد أصبحت تشعر أنّها وحيدة بعد وفاة والدها وأنّها لا تملك من تفضي له بهمومها وآلامها فلم تعد تتبادل معه أطراف الحديث لا في المهم ولا التافه لأنّها تعلم مسبقا ما ستكون ردة فعله.

«أنا لا أبكي يا "سوزان" على نفسي فقد قضيت أكثر أيام حياتي فقيرة معدمة لا أملك من متاع الدنيا شيئا، بل على ذلك الجنين المسكين الّذي يختلج في أحشائي والذي سألده غدا للفقر والمتربة والذل والشقاء.

---

[1] الرّواية، ص151.

[2] الرّواية، ص154.

[3] الرّواية، ص172.

لقد أصبحت لا أسأل الله إلّا موتة عاجلة تذهب بي وبه وتريحني وتريحه من شقاء الحياة وعنائها، والويل لي إن عشت بعد اليوم ساعة واحدة»[1].

أرسلت "ماجدولين" رسالة إلى صديقتها سوزان تخبرها عن الفاجعة التي ألمت بها فقد أفلس إدوارد وباع كلّ ممتلكاته وأصبح ساخطا على الدنيا وعلى ماجدولين وأضحت حياة ماجدولين ألما وعذابا ليس بسببها وإنّما من أجل ذلك الجنين الّذي تحمله في أحشائها الّذي سيأتي للحياة دون سند أو معين.

لقد صارت ماجدولين تناجي الموت والخلاص على أن تعيش مثل هذه الحياة.

«قالت له أحزين أنت حتّى اليوم على أوجين يا استيفن؟ قال: نعم حزنا لا يفارقني حتّى الموت»[2].

لقد مست "ماجدولين" وترا حساسا من قلب "استيفن" إذ ذكرته بأخوه "أوجين" وهما يتمشيان في أرجاء المنزل الّذي حلما سويا بتأسيسه والعيش فيه، فلما وصلا إلى الغرفة التي كانت ستصبح من نصيب أوجين لو عاش بينهم فألم بقلبه الألم والحزن وتعالت آهات فؤاده.

«لقد خسرت يا سوزان كلّ شيء، ولم يبق في يدي من جميع أماني وآمالي أمل واحد، فقد ضاعت الثورة التي بعت سعادتي بها، وتنغص علي الزواج الّذي وضعت فيه جميع آمالي وخرج من يدي كذلك الرجل الّذي أحببته أكثر من كلّ إنسان في العالم»[3].

لقد أدركت "ماجدولين" أنّ الثورة التي اغترت بها ولحقت كنوزها قد ضاعت واندثرت وأنّ الزواج الّذي كانت تعيشه قد انتهى والرجل الّذي باعت من أجله كلّ شيء قد هجرها واختفى حتّى استيفن الّذي أحبته أكثر من أي شيء في العالم لم يعد لها.

«لا يعلم إلّا الله كم ذرفت من الدموع وكابدت من الآلام منذ حلت تلك النكبة بي حتّى اليوم، ولقد أرسل إلي بالأمس مالك القصر الجديد ينذرني بالخروج بعد شهر واحد، ويلح في ذلك إلحاحا شديدا، ولا أدري ماذا أضع ولا أين أذهب؟»[4].

---

[1] الرّواية،183 .

[2] الرّواية، ص188.

[3] الرّواية، ص194.

[4] الرّواية، ص195.

لقد تأزمت حالة ماجدولين وساء وضعها فقد هجرها إدوارد وسافر إلى جهة مجهولة لا يعلمها أحد فبكت كثيرا وتألمت مرارا وتكرارا حتّى أنّ القصر الذي تعيش فيه حجز عليه مالكه الجديد فأضحت بدون مأوى وبدون عائل.

«الحياة مظلمة في عيني ولقد بكيت كثيرا حتّى جفت مدامعي وفكرة الانتحار تعاودني اليوم أكثر من ذي قبل، فانظري في أمري يا سوزان واكتبي إلي»[1].

أرسلت "ماجدولين" رسائل كثيرة إلى سوزان تطلب منها المساعدة وتحكي لها عن حالها المأساوي ووضعها المؤلم وأنّ الدنيا قد ضاقت بها ولم تعد تدري ماذا تفعل أو بمن تستنجد فقد أصبحت تفكر في الانتحار كلّ اليوم أكثر من الّذي مضى.

«أصبح استيفن بعد انتفاض جرح قلبه عليه في تلك الليلة التي حادث فيها ماجدولين ثائرا مهتاجا، ولا يهدأ ولا يستريح ولا يسكن إلى نوم ولا يقظة، ولا يهنأ باجتماع ولا خلوة فبدا له أن يسافر إلى بعض مقاطعات الشمال ليروح عن نفسه همومها وآلامها»[2].

لقد هاج قلب استيفن وانقلب حاله بعد آخر مرة تحدث فيها مع ماجدولين فأصبح لا يستقر على حال ولا يهدأ له قلب ولا يغمض له جفن فما هنأ باجتماعه مع النّاس ولا ببعده عنهم.

«إنني لا أزال أذكر حتّى الساعة أنك سألتني في تلك الرسالة أن أتناسى ذلك الماضي وإن تحل الصداقة بيننا محل الحب، فها أنا ذا قد جئت باسم الصداقة التي تواثقنا عليها منذ ذلك العهد»[3].

لقد ذكر "اوستيفن" "ماجدولين" بالرسالة التي أرسلتها إليه، تطلب منه فيها أن ينساها ويعيش حياته بدونها وعرضت عليه طلب الصداقة فعرض عليها هو الآخر طلب الصداقة في محنتها فآلمها ذلك كثيرا وأرخى من قوتها.

«مشى البستاني إليها فرآها ساقطة تحت المقعد تعالج سكرة كسكرة الموت، فمازال حتر رجعت إليها نفسها، فأعطاها الكتاب فأخذته من يده صامتة، وصعدت إلى غرفتها وقد لبس وجهها ذلك اللّون الّذي يعبس ويغشى جوه المنذرين بالموت فقضت ليلها ساهرة

---

[1] الرّواية، ص196.

[2] الرّواية، ص200.

[3] الرّواية، ص203.

تكتب مرة، وتذرف دموعها أخرى، وتضم لفتها إلى صدرها فيما بين ذلك حتّى انصدع عمود الصباح»[1].

ترك "استيفن" "ماجدولين" في حالة مأساوية فهرع البستاني إليها فوجدها ساقطة تحت المقعد تعالج ألمها وكأن روحها ستسحب منها هدأت قليلا فأعطاها كتابا قد أعطاه إياه "استيفن" فأمسكت به صامتة وصعدت إلى مخدعها وقد تبدل حالها وصار كحال الميتين أو المقبلين على الموت فقضت ليلتها ساهرة تكتب رسائلها وتغرق دموعها وتضم رضيعتها إليها حتّى انقضى الليل.

«مسكين هذا الرجل، ما أحسب أن أحدا شقي في هذا الحياة شقاءه، أو لاقى فيها ما لاقاه، والناس يظنونه سعيدا مغتبطا ويحسدونه على نعمته وهنائه قال: نعم لقد فتك ذلك الغرام القديم بنفسه فتكة لا أحسب أنّه بارئ منها أبد الدهر فوارحمتاه له، وآسفاه عليه»[2].

لقد تأسف كلّ من "فرتز" وزوجته "جوزفين" على حال "استيفن" ورأوا في بؤسه وشقائه الكثير من الألم والعذاب فما يضمره في قلبه لا يدري به مخلوق، فقد فتك ذلك الغرام الّذي عاشها مع "ماجدولين" فتكة لا يشفى منها فليرحمه الله ويرفع عنه.

«أخذ يدور بعينيه في تلك العرصات الخالية ويتلمس أثرا من آثار تلك المعالم التي قضى فيها أيام سعادته الأولى، كما يلامس الساري في ظلمة الليل نجمته في القطب في أقطاب السحب فلم يجد شيئا فهتف صارخا، ماذا صنع الدهر بي وبها؟ لقد أثكلها وأثكلني كلّ شيء بعدها حتّى آثارها، وظل يناجي تلك الأطلال الدوارس، ويستنطق نؤيها وأحجارها ويسائلها عن أهلها وساكنيها فلا يجيبه غير الصدى المتردد، حتى عُيَ بموقفه، فانصرف ولقبه وجبات كأنّها شقاق برق في السماء الواسع»[3].

أخذ "استيفن" يجول على أنقاض المنزل وأعتابه الخالية المندثرة ويلتمس ولو أثر من آثار تلك المعالم التي قضى فيها ذكرياته الحلوة والمحزنة وكأنه ساري في لعبة الليل ينتظر بزوغ نجمة القطب ولا يجدها ولبث على ذلك مطولا فهاجمت نفسه وهتف بصوت عال وقوي يسأل الدهر ما الّذي صنعه به وبماجدولين لقد آلمه وجودها وآلمه أكثر أفولها

---

[1] الرّواية، ص205.

[2] الرّواية، ص205.

[3] الرّواية، ص216.

وظل يكلم تلك الآثار أين اهلك وسكانك التي كانوا هنا بالأمس فلا يجيبه أحد إلّا الصدى المرتدد إليه فلبث على هذه الحال ما شاء الله ثم انصرف وقلبه يحترق لوعة وألما.

«لقد قسا الدهر على بتهوفن قسورة عظمى لم يقسها على أحد من قلبه من رجال الفنون والآداب، فقد وضع للعالم تلك الموسيقى السماوية العالية التي حاكى بها الطبيعة في نغماتها ودناتها، وصور فيها أدق عواطف القلوب وخوالجها، فلم يحفل به النّاس كثيرا، ولم يأبهوا لها»[1].

سرد "استيفن" على الحضور قصّة بتهوفن لأنّها كانت تشابه قصّة حياته في الألم والوجع فقد كان مثله سيء الحظ منكوب الحال لقد قسا الدهر على بتهوفن قسوة لم يقسو على أحد مثلها من قبل من أصحاب الفن والأدب، فقد وضع للعالم أجمل المقاطع الموسيقية وأعذبها وأرقاها، فكانت ذات حس سماوي عالي حاكى بها الطبيعة وترجم أحاسيسه بأسلوب منمق وجميل وصور فيها أدق العواطف الرومانسية والشاعرية وخواطرها المختلجة، ولكن المحيط الّذي كان فيه لم يوليه أهمية بل تجرأ السخط والازدراء من بني عشيرته فقد عاش الألم والقسوة والحسرة.

«لم يقنع الدهر منه بذلك حتّى رماه في آخر أيامه بالصمم، فلم يأسف لهذه النكبة كثيرا بل قال في نفسه، إني أحمد الله على ذلك فقد كفاني نصف شرور النّاس فلعله يكفيني نصفها الآخر، فلا أرى في وجوههم ولا أسمع أصواتهم، ولقد صدق فيما قال، فقد أخذ النّاس يسمونه بعد نزول تلك الكارثة به بالموسيقي المجنون، فلم يسمع شيئا ممّا يقولون»[2].

إنّها قمة الألم والمعاناة فقد ألم الدهر بجميع مآسيه وآلامه وشروره وأنزلها على بتهوفن، فرغم كلّ الألم الّذي كان يعيشه من اضطهاد النّاس له وهجره الدنيا وما فيها وعيشه في الغابات والأحراش في آخر أيام حياته أصيب بالصمم، ولكنه كان قويا ولم يأسف لهذه النكبة كثيرا بل حمد الله كثيرا لأنّه كفاه شرور النّاس فقد اعتزلهم فأصبح لا يراهم والآن يستطيع أن لا يسمعه أو يصغي إليهم وكان على حق في كلامه بعد نزول هذه النكبة به صار النّاس يسمونه بالموسيقي المجنون فلم يسمع لهم كلامهم.

---

[1] الرّواية، ص218.

[2] الرّواية، ص220.

«فإذا فرغوا من زيارة المنزل ذهبوا إلى المقبرة فزاروا ذلك القبر الّذي دفن فيه الشقيان البائسان، فيبلل تربته بالدمع منهم من نكب في حياته بمثل نكبتها أو عاش فيها شقيا كعيشهما»[1].

لقد تجسد ألم وحزن ماجدولين واستيفن في منزلها الّذي حلما به فقد بقي على حاله بعد أن اشترته جمعية الموسيقى الملوكية في برلين وحفظته تذكارا لهما وصار مزارا يقصده كلّ من سمع لقصتهما فإذا انتهوا من زيارة المنزل اتجهوا إلى المقبرة فزاروا القبر الّذي دفن فيه كلّ من الشقيان البائسان فيبكي عليه كلّ من نكب بنكبته أو عاش مثل عيشتهما شقيا معدما فيدعون لهما بالرحمة والمغفرة.

5 – **الحــزن**:

«فأخذت هذه الكلمة مأخذها من نفس ماجدولين وأصفر لها وجهها، ثمّ أطرقت برأسها طويلا..... فرفعت رأسها فإذا هي تبكي، فقال ما بك يا ماجدولين؟ قالت: إنّ الدهر يا "استيفن" أضن بالسعادة من أن يهبها كلها لشخص واحد وأخاف أن نكون كاذبين في آمالنا، أو مخطئين في تصور مستقبلنا، فليت الدهر- إن كان يعلم أنّه سيحول بيننا وبين سعادتنا في المستقبل ويكدر علينا صفو عيشنا بفاجعة من فواجعه أو نازلة من نوازله- أن يمد إلينا يده في هذه الساعة فيستل حياتنا من بين يدي اجلنا لتخفا في أفواهنا سرارة الموت»[2].

لقد تسلل الحزن إلى قلب ماجدولين ودب بين أوتار قلبها دون أدنى سبب أو مبرر، فهاج قلبها وتقلب كيانها ودارت بها الهموم والأحزان.

«أنا لا أحب أن أرى مغيبه، لأني أخاف أن تغرب سعادتنا بغروبه فنظر إليها واجما مكتئبا كأنّما دار بنفسه ما دار بنفسها من المخاوف والأوهام»[3].

لقد أحس "استيفن" بكل ما ألم بنفس ماجدولين وامتلأ قلبه بحزن شديد ثمّ مضيا في سبيلهما.

---

(1) الرّواية، ص227.

(2) الرّواية، ص36.

(3) الرواية، ص38.

«فأصبحت أشعر في مقامي بينهم بما يشعر به الغريب المنبت الّذي يعيش في وطن غير وطنه، وداروا هل غير داره وأهله، فمتى تنقضي أيام غربتي ومتى أعود إلى أهلي ووطني»[1].

بالرغم من أن استيفن كان وسط أهله وأقربائه فإنّه كان يشعر بالضياع والاستياء وكانت غربته تزداد شيئا فشيئا.

«قد أحزنني كثيرا ما تكابدينه من الآلام والأحزان من أجلي، ولو كشفت لك من أمر نفسك ما كشفت لي منها، لعرفت أسعد مني حظا، وأروح بالا، لأنك تعيشين في المواطن التي شهدت سعادتنا وهناءنا والتي نبتت في تربتها آمالنا وأحلامنا فكل مات حولك يذكرك بحبك، وأيام سعادتك، أمّا أنا فكل ما حولي غريب عني، أنكره ولا أكاد اعرفه، كأنّها هو مؤتمر بي أن ينتزع مني ذكرى تلك الأيام الجميلة التي قضيتها بجانبك وهي كلّ ما أصبحت أملكه من بعدك»[2].

عندما قرأ استيفن رسالة ماجدولين وألم بحالها حزن كثيرا لحزنها فأرسل إليها يواسي ويخبرها بأنّها أحسن حال منه لأنّها تعيش وسط الذكريات التي جمعتها وكل شيء من حولها يذكرها بما عاشاه وأنّه في شوق كبير لتلك الأماكن.

«كان أكبر ما يحزنه من أمر فاقته أنّه وعد ماجدولين بالسعي إلى الثروة والنجاح فيها، وملأ قلبها ثقة وأملا في المستقبل وأنّ فشله إن قدر له الفشل سيقتلها ويلقي بها في مهواة اليأس والشقاء، فرثى بها وأشفق عليها إشفاقا عظيما»[3].

لقد كانت حياة استيفن حياة ضنكا كابد فيها الأَمَرَين فلم يصلح له حال فما كان يهنأ بعيش وهذا ما زاد في نفسه حزنا وألما.

فقد وعد ماجدولين بتحسين حاله وتطوير وضعه وأفعمها بالأمل وإن فشل في مساره فقد حطم ماجدولين وأودى بها في متاهات الظلام.

«لا يزال الدهر عابسا في وجهي ولكني صابر محتمل لا أيأس ولا أستسلم ولا تفتر لي همة حتّى أنال بغيتي والسلام»[4].

---

[1] الرّواية، ص53.

[2] الرّواية، ص53.

[3] الرّواية، ص68.

[4] الرّواية، ص70.

بث "استيفن" حزنه لماجدولين لأنّ حاله لم تتغير وما يزال يعاديه الحظ ولم يبتسم في وجهه بعد لكنّه رغم ذلك يطمئنها ويعدها بالأمل وتحسين وضعه.

«شعرت "ماجدولين" بلوعة الحزن في أعماق قلبها حينما عرفت أنّ حيلتها التي كانت ترجو أن تفاخر بها أترابها غدا وتكاثرهن بحسنها وجمالها قد بذأتها العيون واقتحمتها الأنظار، وسخر منها الرجال والنساء جميعا وظلت تفكر في ذلك ساعة كابدت فيها آلام النفس ولواجعها ما تكابد نفس المحتضر في ساعته الأخيرة»[1].

لقد ظهر من أمر ماجدولين ما لم يكن من قبل فالرجل الّذي كانت تحبه وتريد إكمال بقية حياته معها لم يعد يعجبها ويليق بالذوق الّذي تنشده ولقد نال هذا من نفسها الحزن الشديد.

«تركت (جوتنج) وقلبي يخفق رعبا وخوفا أن تكون الحياة الجديدة التي انتقلت إليها قد نالت من نفسك منالها من نفوس الفتيات الضعيفات اللواتي تتلون قلوبهن وأهواؤهن بلون الهواء الّذي يستنشقه، والجو الّذي يعشن فيه، فلما رأيتك ورأيت تلك السحابة السوداء من الحزن التي كانت تغشى وجهك وتظلله ومنظر عينيك الساجيتين المنكسرتين المملوءتين كآبة وحزنا، علمت أني مخطئ في هواجسي وظنوني»[2].

كان استيفن خائفا من أن تغير الحياة الجديدة ماجدولين فتنجذب لمناظرهم وتغير مظاهرهم في نفسها ولكن عندما رأى تلك المسحة من الحزن والكآبة بادية على وجهها علم أنّ الّذي كان يدور في نفسه لا أساس له من الصحة.

«فساء ظنه ووقع في نفسه أنّه قد أغضبها وآسفها فيها كتب إليها، فاشتد حزنه وغمه وكتب لها رسالة أخرى يعتذر إليها فيها عمّا ورد في رسالته الأولى فكتبت إليه أنّها كانت عاتبة عليه في سوء ظنه بها»[3].

لقد تسبب انقطاع رسائل ماجدولين بالحزن الشديد في قلبه فاشتد به الألم وحزن كثيرا لفراقها فراسلها يعتذر منها ظنا منه أنّها قد انزعجت منه فكتبت إليه تعاتبه على سوء ظنه بها.

---

[1] الرّواية، ص94.

[2] الرّواية، ص95.

[3] الرّواية، ص99.

«وجاءه كتاب أخيه فحزن عند قراءته حزنا شديدا وذكر أنّه لا يملك من متاع الدنيا غير هذه القطع القليلة، وأنّه في حاجة إليها ليقنعها على زيارة ماجدولين فلبث حائرا لا يدري ماذا يضع ثمّ غلبته عاطفة الحب على عاطفة سواها»[1].

تلقى "استيفن" رسالة من أخيه يخبره فيها بأنّه لا يملك أي قطع نقود وأنه بحاجة ماسة لمساعدته وهو في انتظار ذلك وكان "استيفن" لا يملك من قوت يومه إلّا ما يوصله لزيارة ماجدولين ففضل أن يزور ماجدولين على أن يرسل بها إلى أخيه لكن هذا أحزنه كثيرا.

«وقع نظره على صورته فيها فامتلأ قلبه خوفا وذعرا، وأنكرت نفسه، فقد رأى في أسارير وجهه تلك السحنة المنكرة التي يعرفها في وجوه المجرمين، ورأى في عينيه تلك النظرات الطائرة الشاردة التي ينظر بها المحكوم عليه بالموت إلى سيف الجلاد حين يلمع فوق رأسه فظل يرتعد ويضطرب، وظلت الأوراق تتساقط من يده واحده بعد أخرى »[2].

لقد عاش "استيفن" وقت عصيب في غرفة المستشفى ممّا دار في نفسه من أحاديث شيطانية فقد سولت له نفسه سرقة ممتلكات قريبه المريض وهذا كله نتيجة الحزن والألم الّذي كان داخله، فلما رأى صورته شعر بالهلع وللفزع ولبرهة لم يعرف نفسه بسبب الغضب وكأن الموت يتربص به.

«فتح باب الغرفة الخامسة وألقى عليها نظرة ألمت بجميع ما فيها فاغروقت عيناه بالدموع وقال: لقد كنت أرجو يا أوجين أن تشركني في سعادتي كما شركتني في شقائي، ولكن هكذا أراد القدر أن يفرق بيني وبينك وأن تكون سعادتي منفصلة بذكراك أبد الظهر، فوا أسفا عليك يا أخي أسفا لا يفارقني حتّى الموت»[3].

لقد كان موت أوجين بمثابة الضربة القاضية لاستيفن التي زادته حزنا على حزنه فلما انتهى من بناء منزله تذكر أنّه كان سيشرك أوجين معه في المنزل فلم يستطع تمالك نفسه وانهار باكيا وتذكر كلّ ذكرياتها ومعاناتهما.

---

[1] الرّواية، ص100.

[2] الرّواية، ص109.

[3] الرّواية، ص119.

«مر بخاطره الفرار بنفسه إلى أية بقعة من بقاع الأرض يطلب فيها السلم والراحة والتفرج ممّا به، ولكنه أشفق على ماجدولين أن يقتلها الحزن عليه من بعده، وهو إنّما يحيا في هذا العالم من أجلها»[1].

إنّ تفجع قلب استيفن كاد أن يودي بحياته ففكر باعتزال العالم والفرار إلى أي ركن من أركان الأرض وينقطع عن كلّ النّاس الّذين أساؤوا له ولكنه دائما يشفق على ماجدولين ويفكر في حزنها وألمها وإنّه موجود في العالم من أجلها.

«ولكن ماذا أقول لك؟ وماذا عندي من الأحاديث فأحدثك به، لا شيء عندي سوى أن أذرف دموعي تحت قدميك وأمد يدي إليك صامتا ثمّ أضع حياتي بين يديك فإما أحييتني أو قتلتني»[2].

لقد ترجاها كثيرا أن ترأف بحاله وتراجع نفسها لأنّ نفسه لم تعد تقوى على احتمال المزيد فلا سبيل له سوى ذرف الدموع والامتثال لأمرها فبيدها أن تقتله أو تحييه.

«لي الله من بائس مسكين، فقد ذبلت زهرة حياتي قبل أن تنتج ودبت إلي الشيخوخة وأنا لا أزال في ريعان الشباب وانطفأ ما كان مشتعلا في قلبي من الهمة وفي رأسي من الذكاء وفي جسمي من القوة وانقطع ما كان موصولا بيني وبين النّاس جميعا، فمات أخي وطردني أبي وعاداني اهلي ولم يكن باقيا لي في العالم سواك، ثمّ انقضى ما كان بيني وبينك، فأي أرب لي في العيش من بعد ذلك»[3].

كاد الحزن أن يقتل استيفن بسبب كلّ الأهوال التي سقطت عليه فلم تعد هناك قيمة لحياته وانطفأت زهرة شبابه واستبد به العجز والوهن حتّى أنّ الدنيا وما فيها لم تعد شيئا فموت أخوه وطرد أهله له ثمّ ترك بماجدولين كلّ هذه الضربات أدمت قلبه وكسرت ظهره.

«إني أناديك في اليوم مائة مرة يا ماجدولين صارحا مستغيثا باكيا منتحبا لا أهدأ ولا أستريح وأنت لاهية عني بذلك الشأن الجديد الّذي استحدثته لنفسك، لا تسمعين ندائي

---

[1] الرّواية، ص121.

[2] الرّواية، ص139.

[3] الرّواية، ص140.

ولا ترثين لمصابي، وما أعلم أني اذنبت إليك في حياتي ذنبا واحدا تأخذينني إليه بل أعلم أني اقترفت جميع الذنوب والآثام من أجلك»[1].

إنّها صرخات الحزن وآهات الألم فقد أصبح استيفن ينادي ماجدولين كلّ فينة ودقيقة لا يغمض له جفن ولا يستريح له بال، ولا يهنأ له نفس وهي منشغلة عنه بحياتها الجديدة لا تفكر في معاناته وتزيدها لوعة وحرقة.

«إنا لا نخاف الانتحار إلّا لأنا نحب الحياة ولا نعبدها على ما هي حافلة به من الكوارث والمحن إلّا لأننا جهلاء أغبياء، نطمع في غير مطمع ونرجو ما لا يمكن أن يكون، فمثلنا في ذلك كمثل لاعب القمار يزداد طمعا في الربح كلّما ازداد خسارة فلا يزال يخسر، ولا يزال يطمع، حتّى تصفر يده من كلّ شيء»[2].

لقد بلغ اليأس من استيفن مبلغه فصارت الدنيا كلها محزنة وأمورها مبغضة لقد فكر في الانتحار وإنهاء حياته وأدرت بأنّ الله هو الّذي خلقنا في الحياة لغاية في أمره وأنّ أصل الإنسان عدم القناعة والرضا وأنه بالرغم من الخسارة لا يزال يصر على الربح حتّى يفض كلّ ما كان معه.

«لا أزال يا سوزان ضيقة الصدر كثيرة الهم ولا يزال إدوارد قريبا مني بعناية واهتمامه، بعيدا عني بقلبه وعواطفه فقد ملأ فراغ قلبه بشؤون مختلفة لا أعرفها ولا آبه لشيء منها ولم يترك فيه بالحب إلّا زاوية صغيرة محدودة ولا تتسع ولا تنقبض»[3].

أرسلت ماجدولين إلى سوزان رسالة تخبرها بأنّها حزينة مكتئبة وأنّ إدوارد لم يعد يأبه بأمرها إلّا نادرا وأنّها سيئة الحال ولم تعد تشعر بالسعادة التي كانت تشعر بها.

«كثيرا ما كان يخلو بنفسه في هدوء الليل وسكونه فتمر أمام نظره على الرغم منه جميع آلامه وهمومه الماضية فيذكر الليلة التي خرج فيها من "كوبلانس" شريدا، طريدا لا يجد مواسيا ولا معينا»[4].

بالرغم من أنّ استيفن قد استطاع أن يتجاوز محنته إلّا أنّه عند الاختلاء بنفسه تمر كلّ تلك الأحداث المؤلمة به وكأنها وقعت لتوها فيهيم بنفسه وروحه خارج تلك الحياة.

---

[1] الرّواية، ص143.

[2] الرّواية، ص156.

[3] الرّواية، ص171.

[4] الرّواية، ص178.

«فأطرق مليا ثمّ رفع رأسه إليها وقال لها: أمّا العفو فإني لا أستطيعه لأنني لا أستطيع أن أنسى فاصفر وجهها اصفرارا شديدا، وشعرت أنّ روحها تتسرب من بين جنبيها فقطرت قطرة ونظرت إليه بعينين تترقرق في إنسانيهما الدمع»[1].

لقد طلبت الصفح من استيفن فأطرق قليلا ثم رفع رأسه وقال لها أنّ الألم الّذي سببته له ليس بالسهل ولا الهين أن ينستى وأنّها طعنته مرارا وتكرارا فشعرت بحزن شديد وأنّها تختنق أمامه وامتلأت عيناها بالدموع فذكرته بكل الذكريات التي قضياها معا.

«حلت بيني وبين ذلك لأنك كنت واجدا علي، وكنت ترى أن لابد لك من الانتقام لنفسك فقضيت بذلك علي ومن نفسك في آن واحد لأني أعلم أنك تحبني، وأنك لا تستطيع أن تهنأ بالحياة من بعدي»[2].

لقد تركت "ماجدولين" قبل انتحارها رسالة إلى استيفن تخبره عن أحزانها ولوعتها عندما رفض مسامحتها فقد فضلت الموت على أن تعيش وتراه مشفقا عليها ورائفا بحالها فقد رفض أي صلة بها وكان يرى أن لابد أن ينتقم لنفسه فقضى بذلك على كلّ بصيص أمل باق لها في الحياة.

«إنّها لم تكن إلّا شبحا من الأشباح الضئيلة المتهاتفة، قد ذهب الدهر بجميع قواها، وضعضع جميع حواسها ومشاعرها ولم يترك لها من آثار الحياة إلّا عينا تنظر ولا ترى وأذنا تسمع ولا تعي ونفسا ذاهلة عن كلّ شيء حتّى عن نفسها، وروحا تتسرب من بين جنبيها شيئا فشيئا ذاهبة في سبيلها»[3].

لقد وصفت "ماجدولين" نفسها بأنّها حالة من حالات الأشباح فكانت جثة هامدة أعياها الدهر ولعب بها الزمان ولعب بجميع حواسها ومشاعرها ولم يخلق بعدها أي مظهر من مظاهر الحياة إلّا قلبا يعيش ولا يحس وبقيت تنظر ولا ترى وأذنا تسمع ولا تستوعب ونفسها ناكرة لكل شيء حتّى لنفسها وروحها تتماشى رويدا رويدا لتخرج لحال سبيلها.

«خلا استيفن بنفسه اخذ يقرأ الكتاب ونفسه تتطاير لوعة وأسى، حتّى فرغ منه فبكى ما شاء بالله أن يفعل، ثمّ أخذته كظلمة شديدة فذهل عن نفسه وظل مستغرقا في

---

[1] الرّواية، ص202.

[2] الرّواية، ص209.

[3] الرّواية، ص210.

ذهوله بضع حتّى انتصف الليل، فثار من مكانه بغتة وكأنه طاف بعقله طائف من الجنون»[1].

عندما تسلم استيفن رسالة ماجدولين خلا بنفسه وأخذ يقلب سطوره وكلماته فتطايرت أجزاء عقله وتملكه الحزن والألم وتمشت في عروقه برودة قاتلة وكأن الألم يستكين بكل جسده فبكى مطولا وسالت دموعه السيلان الجارف ثمّ دخل في حالة من الهستيريا والجنون فصار يدور يمينه وشمالا ولا يستقر على حال.

«جثا بجانب القبر يلثم تربته وأثره ويلصق خديه بصفائحه وأحجاره ويبكي بكاء شديدا حتّى اشتفت نفسه، ثمّ انصرف لسبيله، وهو يقول: قد كنت أرجو أن أدفن بجانبك يا ماجدولين فلم أوفق إلى ذلك وأحسب أن ذلك مني غير بعيد»[2].

لقد كاد الحزن أن يودي بحياة "استيفن" إلى الجنون فحمل فأسه وهم بفتح قبر ماجدولين واستخراج جثتها لكن خادمه لحق به وهدأ من روعه وخيل إليه أنّه قد أصاب رأس الجثة لكنّه كان غطاء التابوت فسقط بجانب القبر يذرف دموعه ويناجي إلهه وأخذ يقلب تراب القبر ويبكي عليه ويقول كنت أرجو أن أدفن بجانبك يا ماجدولين فلم يكن ذلك لي لكنّه وعدها بأنّه سيكون قريبا منها لا محالة.

6 - **الحس المأساوي**:

«لا تعتبي علي، فهذا كلّ ما تستطيع أن تملأ به صفحات كتابها فتاة تعيش في قربتها الصغيرة عيش متشابه الصور والألوان، لا فرق بين ليله ونهاره، وصبحه ومساءه، لا تطلع الشمس فيه على مرأى جديد ولا تغرب عن منظر غريب»[3].

«قلنا أنّ الرومانسيين كانوا ينزعون إلى المطلق والنهاية وأنّ كلّ ما يطالعهم به الواقع كان ساقطا في نفوسهم لاعتباره من معالم الجهل والقصور والفشل، ومهما نال الرومانسي في دنيا الواقع فإنّه يأنف منه ويجده من باب التغرر والتغرير، وأنّ من يرتضيه إنّما يرتضي العاهة القصور والجزئية واللاشيئية في ساح الوجود، وهي الفكرة الثابتة القابعة في وعيهم ولا وعيهم هي التي كانت تنكد عليهم حياتهم وتدعهم يحسون بالغربة في العالم كله، إنّها غربة بلا باعث خاص لها وكآبة دون تبريرلعلهم مكتئبون

---

[1] الرّواية، ص212.

[2] الرّواية، ص114.

[3] الرّواية، ص06.

لأنّهم وجدو كما يقول "بودلير" ويكتئبون أكثر لأنّهم مـــازالوا موجـــودين، وأيامـــا كانـــت البواعث الظاهرة التي يعللون بها كآبتهم وغربتهم، فإنّ أعماقها الأولى تصدر عن تلـــك العاهة الميتافيزيقية الماورائية من عدم رضاتهم عن الوجود»[1].

يظهر الحس المأساوي بصور متكررة وهذا لطبيعة الشّخصيات الرومانسية التـــي تعيش تراجيديا مأساوية تتخللها لحظات من اليأس والشتات.

«مضى الليل إلّا أقله، ولم يبق إلّا أن تنفجر لمة الظلام عن جبين الفجـــر ولا أزال ساهرا قلق المضجع، أطلب الراحة فلا أجدها، وأهتف بـــالغمض فـــلا أعـــرف الســـبيل إليه»[2].

«أويت ليلا بعض زوايا غرفتي وظللت أبكي على فراقك مـــرة وعلـــى شـــقائك أخرى، وأذود النوم عن عيني ذيادا لأني لا أستطيع أن أكون راضية عن نفسي، ولا هانئة في مضجعي إن نمت في ساعة لا تجد فيها أنت إلى الراحة سبيلا.... فنمت فـــي مكـــان، نوما مشردا مذعورا»[3].

لقد غلب الحس المأساوي على كلّ من ماجدولين واستيفن بسبب الحزن والمعانـــاة والكآبة التي غلبت على مقاطع الرّواية وسير الأحداث المأساوي، فقـــد كانـــت المأســـاة المحرك الأساسي لسير الأحداث والشّخصيات.

«فلما فعلت لم أجد غير الوحشة السائدة والسكون المخيم وغير سريرك المشـــعث، وأوراقك المبعثرة في كلّ مكان والغبار المنتشر في أرضها وسمائها، فمهدت مـــا تشـــعث وجمعت ما تبعثر ومسحت الغبار عن المقاعد والنوافذ».

«فلا السماء صافية كعهدي بها، ولا الجو باسم طلق كما أعرفه، ولا الماء صـــافٍ عذب، ولا الهواء رقراق عليل، ولا الروض متفتح عن أزهاره، ولا الزهر متـــنفس عـــن عبيره كأنما كنت سر الجمال في الأشياء، فلما خلت منك اقفرت واقشعرت ونبـــت عنهـــا العيون والأنظار»[4].

---

[1] إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص207.

[2] الرّواية، ص10.

[3] الرّواية، ص51.

[4] الرّواية، ص53.

أرسل "استيفن" أشواقه إلى ماجدولين وبثها آلامه ومأساته ويبوح لها بلوعة قلبه وأنّ الحياة أصبحت لا تعني له شيئا حتّى لون السماء وطعم الهواء تغيرا وأصبح يعيش المأساة الموحشة حتّى الأزهار تبدلت.

«إن كانوا يريدون الفناء فلم لا يفنون إلّا راقصين، أو الرقص فلم لا يرقص الرجل إلا مع امرأة؟ ولا ترقص المرأة إلّا مع الرجل؟ ثمّ لا يرقصون إلّا متلاصقين متماسكين كأنهم بين جدران مخادعهم، أو وراء أستار نوافذهم وأبوابهم»[1].

لقد استاء استيفن كثيرا من المظاهر المتصنعة والأشخاص الّذين كانوا يراءون عكس ما بداخلهم ويظهرون عكس ما بداخلهم لقد شعر بحس مأساوي كبير.

«وكنت كلّما عدت إليك في أيام إجازتي من العام استقبلتني بالوجه الّذي تستقبل به أبعد النّاس عنك وأصغرهم شأنا عندك، فلا تختصني بكلمة طيبة، ولا تؤثرني بنظرة رحمة، ولا تسهر علي في مرض، ولا تتفقدني في شدة، ولا تبتسم للقائي، ولا تحزن لفراقي وكثيرا ما سهرت الليالي ذوات العدد أندب حظي عندك، وأضرع إلى الله تعالى أنّ يدني قلبك من قلبي، ويرزقني حبك وحنانك، فلم يستجب دعائي، فاستوحشت نفسي من نفسي وغلبت على طبعي هذه النفرة التي لا تزال ملازمة لي حتى اليوم ولدك لما سرت نفورا ولا متوحشا، وقسا قلبي القسوة كلها، فأصبحت لا أعطف على أحد ولا أحب أحدا، لأني لم أتعلم العطف ولا الحب من أحد»[2].

لقد هاجت نفس "استيفن" وتذكر معاناته في طفولته مع أبيه فكان عندما يعود من إجازته لا يجد ذلك الحنان الّذي ينتظر الابن من والده فلا يعامله معاملة طيبة ولا يسهر عليه في مرضه ولا يهمه إذ حضر أو أفل، وكم من ليالي قضاها يدعو الله أن ينتبه لحا له ويهتم بأموره فأصبح جامد القلب كامن الأحاسيس.

«فأطرق برأسه هنيهة وظل يقول في نفسه: إنّه يستعدي عطف النّاس ورحمتهم على جوع زوجته وطواها، والناس لا يعطفون ولو عقل لعلم أنّه يسألهم حقا من حقوقه المقدسة لا يعترضه من دونه معترض إلّا استعمل دمه ومشى على جثته إليه، فلا جريمة في الدنيا أكبر من أن يرى الإنسان المرأة التي يحبها تموت بين يديه جوعا فلا يفعل شيئا أكثر من أن يغمض عينها ويسجيها بثوبها، ثمّ يجلس بجانب سرير ما يبكيها وينددبها،

---

[1] الرّواية، ص56.

[2] الرّواية، ص59.

ومديده إلى جيبه فأخرج كلّ ما كان معه من المال فأعطاه للفتى صامتا، ومشى في طريقه وهو يقول: لقد أنقذتها من مخالب الجوع بضعة أيام»[1].

لقد أثر منظر الفتى كثيرا في نفس استيفن وراءه يستعطف النّاس ويمد يده إليهم وحتّى لو كان ذلك على حساب كرامته الأهم عنده أن يسد رمق زوجته ولا يتركها للموت يودي بحياتها وتتركه من بعدها حائرا ومكسورا فإذا باستيفن يخرج كلّ ما كان بحوزته من نقود ويعطيها للفتى ودعا له الله أن يرأف بحاله ويصلح حياته.

«إنني شقي مذ ولدت يا إدوارد، فأنا أحب الأشقياء وأعطف عليهم لأنني واحد منهم، ولا صداقة في الدنيا أمتن ولا أوثق من صداقة للفقر والفاقة، ولا رابطة تجمع القلبين المختلفين مثل رابطة البؤس وللشقاء، فلو أنني خيرت بين صحبة رجلين أحدهما فقير يضم فاقته إلى فاقتي فيضا عفها، وثانيهما غني يمد يده لمعونتي فيرفه عني ما أنا فيه من شدة وبلاء لآثرت أولهما على ثانيهما، لأنّ الفقير يتخذني صديقا والغني يتخذني عبدا وأنا إلى الحرية أحوج مني إلى المال»[2].

لقد أراد استيفن أن يقنع إدوارد أن الصداقة التي تجمعهما مبنية على الحب والأخوة وأنه لا يريد منه جميلا أو معروفا وإنّما رأف لحاله لأنّهما محرومان من السعادة وعطف الأهل ورأفتهم فكانا صديقين في شدتها وغربتها.

«إنّ جميع ما يصيب المرء في حياته من بؤس وشقاء ليس الذنب فيه على القدر، بل على تصور الإنسان وجهله، وعدم اضطلاعه بشؤون الحياة وتجاربها»[3].

لقد عانا استيفن كثيرا في حياته البؤس والحرمان وتجرع الحس المأساوي كثيرا واستعان في ذلك على الله وحكمته لتخليصه من كلّ ذلك.

"فجثا بجانب الميت يرثيه ويتوجع له ويبكي عليه مرة وعلى نفسه أخرى، ومرت أمام نظره في تلك الساعة رواية حياته الماضية من مبدئها إلى منتهاها، فظل يقرأها صفحة صفحة، ويقلب نظره في سطورها وكلماتها فرأى بؤسا وشقاء، واحزانا ودموعا

---

[1] الرّواية، ص69.

[2] الرّواية، ص82.

[3] الرّواية، ص83.

وجدودا سائرة، ونجوسا متتالية حتّى انتهى إلى الصفحة الأخيرة منها فقرأ فيها كتاب العزل الّذي جاء من المدرسة، فانتفض عند قراءته انتفاضا شديدا»[1].

لقد كانت مأساة عارمة التي حلت باستيفن لقد كانت كلّ تلك الآلام والآهات التي عاناها قريبة كأنّه تخرج من جوفه ومن داخله فقد كان يعيش الوجع ذاته والحرقة نفسها لكن بصمت وبهدوء تأمين كان يكابد نفسه على الصبر والاحتمال أكثر ممّا تطيق الجبال على احتماله.

«عاد إلى جونتج بعد تلك الليلة الليلاء التي كابدها في غرفة قريبة صفر باليدين من كلّ شيء حتّى من آماله وأمانيه، فقضى في فراش مرضه بضعة أيام كابد فيها من آلام جسمه ونفسه وما يعجز عن احتماله، ثمّ أبل قليلا فأنشأ يفكر فيما يصح بعد الّذي كان من فشله وانقطاع رجائه به فخطر له الانتحار ثمّ منعه منه أنّه سيكون آخر عهده بماجدولين فلا يراها بعد اليوم»[2].

لقد تحولت حياة استيفن إلى مأساة حقيقية فكر من خلالها بالانتحار وإنهاء حياته وذلك لاشتداد ألمه وكثرة مصائبه فأصابه المرض وألم به العجز والشقاء ولكن حبه لماجدولين كان أمله الوحيد في الحياة.

«فما وقع نظره على أصبعها حتّى تراجع خائفا مذعورا، فقد رأى فيه خاتما غير ذلك الخاتم الّذي نسجته من شعره، وكانت تحدثه عنه في رسائلها كثيرا وتقول له أنّه لا يفارق أصبعها لحظة واحدة فاشتد خفوق قلبه واضطرابه وظل يدور بعينيه حائرا، ملتاعا لا يعلم أخيالا أم حقيقة؟ وازدحمت بالدموع في عينيه تتبادر بالى السقوط، فمده يده إلى ماجدولين ضارعا وقال لها، ألا تستطيعين يا سيدتي أن تقولي لي كلمة واحدة فإني أشعر أني على وشك الجنون؟»[3].

لقد انهارت أعصاب استيفن وتلفت روحه عندما رأى خاتما غير خاتمه في أصبع ماجدولين التي كانت تحدثه أنّها لا تزال محتفظة به في إصبعها تذكارا منه وأنّه لا يفارقها لحظة واحدة فأصابه الذهول والانكسار ولم يدري أي مسلك يسلك أو طريق يتجه أهذا

---

[1] الرّواية، ص105.

[2] الرّواية، ص120.

[3] الرّواية، ص126.

الّذي يراه وهم أم حقيقة فستقط منهارا ومد يده إليها وهو على وشك الجنون بأن تخبره ما الّذي يحدث بحق الحب الّذي جمعهما.

«لا..... لا إنّها لا تستطيع أن تفعل ذلك، لأنّها تعلم حق العلم أنّهـــا لـــي، وأننـــي صاحب الشأن فيها من دون النّاس جميعا، فقد اشتريتها بـــدم حيـــاتي وبجميـــع دمـــوعي وآمالي، وكابدت في سبيلها من نكبات الدهر وأرزائه بما يخرج احتماله عن طوق البشر، فجعت حتّى أشرفت على الموت، وعريت حتّى حبست نفسي عن الخروج من غرفتي إلّـــا في ذمام الليل وحمايته ونمت في الليالي القرة الباردة في ممر الهراء الجاري بلا غطـــاء ولا دثار»[1].

لقد سار "استيفن" يحدث نفسه ويتجرع الحزن والمأساة فماجدولين التي خذلته كابـــد من أجلها كلّ الصعاب والمخاوف فقد سافر صفر اليدين من منزلها عندما طـــرده أبوهـــا ووعدها بأنّه سيعود من أجلها فترك أخوه في أمس الحاجة إلى النقود وآثـــر أن يـــدخرها لرؤية "ماجدولين" وخولت له نفسه سرقة قريب المريض من أجل بناء المنزل الّذي حلمـــا سويا بالعيش فيه وها هي في الأخير تجازيه على صنيعه وتتركه من أجل المال والتـــرف غير آبهة بمشاعره وما سيحل به.

«قد علمتم ما تضمره لي بين جوانحها من الحب والإخـــلاص، وأنّهـــا لا تبتغـــي لسعادتي بدلا من أغراض الحياة ومآربها، فألقيتم في روحها أنّها علة ما ألاقيه حظا مـــن سعادة العيش وهنائه إلّا إذا أيأستني من نفسها وانتزعت يدها من يدي وقطعت مـــا كـــان موصولا عن الود بيني وبينها فصدقت حديثكم وأرجعها هذا المصير الّذي خيلتم لها أننـــي سأصير إليه بسببها فأذعنت لرأيكم واستفادت لكم، وفعلت ما اقترحتم عليها رحمـــة بـــي واشفاقا علي، كذلك استطعتم أن تستثمروا ضعفها وتستغلوه لأنفسكم وما بكم من رحمة بي ولا بها»[2].

لقد وثب استيفن وثبة هائجة على إدوارد لأنّه كان السبب في معاناته وأوجاعه فكل منه مذنب ومولر وسوزان فقد علموا مدى الحب الّذي تكنه له وأنّها راضية بـــه وبحالـــه وأنهم السبب في ما وصلت إليه لأنّهم مارسوا ضدها الضغوطات والأكاذيب فـــأي قلـــب يملكونه وأي ضمير يخولهم للتضحية به وبآلامه.

---

[1] الرّواية، ص128.

[2] الرّواية، ص131.

«يخيل إلي أنني اعيش في صحراء نائية منقطعة عن العالم وما فيه، لا يمر بها طير ولا يجري فيها نهر، ولا يطأ تربتها إنسان ولا يجول في أكنافها حيوان وأنني أهيم فيها وحدي ليلي ونهاري، أطلب الخلاص منها فلا أعرف السبيل إليه، وأحمل نفسي على البناء فيها فيقتلني الضجر والضيق»[1].

تكررت رسائل استيفن لماجدولين وازدادت معاناته فمع مرور الوقت كان يختنق رويدا رويدا، بسبب بعده عن ماجدولين فكان يخبرها أنّ بعده عنها يدخله نفي دوامة من الأفكار والشتات فالرغم من أنّه وسط النّاس كأنّه في صحراء قاحلة غير آهلة بأحد لا ليل فيها ولا نهار ولا حياة فيها ولا نفس إنّها المأساة التي تقتل الإنسان.

«وماذا تقترحين علي يا ماجدولين وأية ذخيرة من ذخائر الأرض أو كنز من كنوز السماء تحبين أن أضعه بين يديك؟.... لقد أصبح ذلك كله لك، وليس بينك وبينه إن أردته إلّا أن تعيدي إلى قلبي الأمل الّذي سلبته فأصبح أقوى النّاس جميعا وأقدرهم على امتلاك ناصية الكون بأجمعه، أرضه وسمائه»[2].

لقد توعد "استيفن" "ماجدولين" كنوز الأرض وثرواتها بالرغم أنّ لا طاقة له بها لكن من شدة تفجعه أراد أن يملكها لدنيا وذخائرها على أن تعود إليه وتنسيه ألمه.

«قرأت قصّة تلك المرأة التي رآها النّاس في إحدى المجالات جالسة أمام كوخها وفي حجرها كتلة لحم حمراء مختلفة وبين يديها قدر يتصاعد بغارها فلما دنو منها ما لهم أن رأوا في يدها سكينا مخضبة بالدم، ورأوا قدما صغيرة بارزة من القدر، علموا أن الجوع قد أفقدها عقلها، وأنّ هذه الكتلة الحمراء التي في حجرها إنّها هي رضيعها قد ذبحته وأنشأت تقطع أوصاله بيديها وتطبخها لتأكلها»[3].

لقد أخبر "استيفن" هذه القصّة المأساوية لماجدولين لتدرك مدى معاناته وانتحابه وأن الّذي يعيشه يساوي معاناتها أو يفوقها آلاف المرات وأنّها سترأف لحال هذه المرأة وتخر باكية لها وتقطع لها كلّ قلب رحيم رؤوف فحالتها تفوق حالته وتضاهيها في العذاب.

---

[1] الرّواية، ص138.

[2] الرّواية، ص141.

[3] الرّواية، ص145.

«لقد أصبحت أخشى على الرجل أن يصيبه شر عظيم وأخاف ما أخاف عليه أن تنزل بعقله نازلة من نوازل الجنون فقد أصبح لا ينطق إلّا باسم تلك المرأة، ولا يفكر إلّا فيها ولا يرى في يقظته أو في منامه غيرها، فيتخيلها تارة مقبلة عليه فيبتسم لها ويتهلل ويفتح ذراعه لاستقبالها، وأخرى منصرفة عنه فيضرع إليها ويهتف باسمها هتافا عاليا»[1].

لقد استعصت حالة استيفن كثيرا وأصبح يقارب الجنون وصار كلّ من حوله يخشى عليه أن تنزل فاجعة أو نكبة عظيمة فكل همه ماجدولين فصار يهتف باسمها ويناديها.

«إنّه لكذلك إذ مرت على القرب منه عجلة فسمع فيها ضحكا عاليا خيل إليه أنّه يعرف نغمته فالتفت فإذا ماجدولين وإدوارد فصعق في مكانه وتراجع إلى جدار كان وراءه فاستند به وهو يقول: ما أسعدهما وأهنأ عيشهما، إنّهما يبنيان سعادتهما على أنقاض لقائي ثمّ ذهل عن نفسه وظل في ذهوله ساعة فلم يستفق حتّى رأى حلقة من النّاس محيطة به ورأى قوما يتضاحكون ويتغامزون ويشيرون إليه إشارات الهزء والسخرية»[2].

بينما استيفن جالس في مكانه يندب خطئه ويداري اوجاعه مرت به عربة سمع فيها تعالي الضحكات والابتسامات فخيل إليه أنّه يعرف نغمته فما التفت وراءه حتّى رأى ماجدولين وإدوارد فجمد في مكانه وانهارت أعصابه وأدرك أنّه هو الوحيد الّذي يتألم وأنّ كليهما يعيش حياته فقد كانا يبنيان سعادتهما على أنقاض حياته.

«خيل إليه أنّه يعيش وحده منقطعا عن العالم كله بما فيه، لأنّ ماجدولين ليست بجانبه وأنّ ما يتمتع به مجد ومال لا قيمة له عنده لأنّها لا تقاسمه إياه، وأنّ هذه الألحان التي يضعها والأصوات التي يفنيها إنّما هي مأتم يقيمه بنفسه غما وحسرة فلا يجد له سبيلا سوى أن يتناول غيتاره، فيضمها إلى صدره ويبثها هموم قلبه وآلام فؤاده ويبكي ما شاء الله أن يفعل حتّى يجد بعض الراحة في نفسه فيأوي إلى فراشه وينام نوما طويلا ثمّ يستيقظ بارئا مستفيقا»[3].

رغم كلّ النجاح الّذي حققه استيفن في حياته إلّا أنّ ذكرى ماجدولين لم تغب عن باله وأنّ كلّ هذا النعيم والمال الّذي يملكه لا قيمة له لأنّها لا تقاسمه ذلك وأنّ ألحانه

---

[1] الرّواية، ص150.

[2] الرّواية، ص155.

[3] الرّواية، ص179.

الحزينة التي أوصلته للمجد والشهرة هي مبلغ حزنه واكتئابه فلا يجد أمامه إلّا غيارته أمامه ليفرغ كلّ همومه وأحزانه فيبكي بكاء كبيرا، ثمّ يعود إلى حالته.

«شعرت بتلك الفضاضة التي يشعر بها الذليل في موقف ذله ومهانته، وظلت تقول في نفسها: إنّه ما عفا عنها ولا غفر لها سيئاتها عنده، ولا أمسك عن عتابها وتأنيبها، ولا أعطاها من نفسه هذا الوجه من الرضا، إلّا لأنّه يحتقرها ويزدريها ويراها أصغر في عينه أن يأخذها بذنب»[1].

لقد أحست "ماجدولين" من معاملة "استيفن" أنّها يحتقرها ويذلها وأنه يكلمها إشفاقا على حالتها، إنّه لم يسامحها بل لم يعد يأبه لأمرها وحالها.

«أبانا يقسو علينا ولا يحفل بنا، وقد بؤس عيشنا بؤسا يعي به الصغير ويطير به لب الكبير، وبلغنا في الشقاء المبالغ التي لا يبلغها إلّا اليتامى المنقطعون عن الأهل والرحم أو أبناء السبيل المشردون في آفاق البلاد وكنا نرتدي أرث الثياب ونأكل أتفه الطعام ولا نحتذي إلّا الأحذية المرقعة ولا نلبس إلا القلانس المفرغة»[2].

تذكر استيفن معاناته وطفولته هو وأخوه اوجين فبكى وانتحب كثيرا فتذكر عندما توفيت أمها كيف أنّ والدها عالمها بسوء وتبرأ منهما فقد عاشا عيشة بائسة حقيرة لا تقوى الجبال على تحملها وقد نالها من الشقاء والبؤس ما يبلغه اليتامى ومنقطعو الأهل والمشردون في الطرقات والشوارع وكانا يرتديان الثياب البالية ويأكلان الدنيء من الطعام والرخيص من النقال فقد كانا وضعهما بحق وضعا مأساويا.

«اختنق صوته بالبكاء فلم يستطع المضي في حديثه وأطرق إطراقا طويلا ثمّ رفع رأسه فإذا عيناه محمرتان من البكاء فألقى على ماجدولين نظرة طويلة دامعة وقال لها: أتدرين يا مجدولين ماذا صنعت بهذا الأخ الّذي كنت احبه أكثر من كلّ إنسان في العالم وكان يحبني أكثر ممّا احبه؟ قالت: لا أعلم أنك صفت به شيئا، قال إنني قد قتلته، فذعرت ماجدولين واصفر وجهها وقالت: إني لا أفهم ما تقول؟ قال: كتب إلي من ميدان القتال أن سرجه بال ممزق يوشك أن يخذله في الميدان وأنه في حاجة إلى عشرين فربما ليبتاع بها سرجا جديدا وكنت قادرا عليه، فانقطع به سرجه أثناء المعركة فداسته حوافر الخيل

---

[1] الرّواية، ص185.

[2] الرّواية، ص189.

ومات، فاستعبرت ماجدولين باكية، وقالت وآسفاه عليه وعلى شبابه الغض وغصنه الباسق النظير»[1].

لم يستطع "استيفن" السيطرة على دموعه حتّى أنّه لم يستطع الكلام وصمت كثيرا ثمّ رفع رأسه فبعينيه محمرتان من البكاء فنظر إلى ماجدولين مطولا وتهاطلت دموعه دون توقف وقال لها أتعلمين ماذا صنعت بأخي الّذي كان يحبني أكثر من أي إنسان في العالم قالت لا اظن أنّك صنعت به كلّ جميل وطيب فقال أنا الّذي قتلته بنبرة تدمي بالقلب وتكسر الروح فجمدت "ماجدولين" في مكانها ولم تفهم ما الّذي يحدث فسرد عليها أنّه بعث إليه برسالة من ميدال الحرب يسأله فيها بقليل من المال لأنّ سرج فرسه قد باشرت على الاهتداء فلم يرسل له المبلغ فانقطع به السرج أثناء المعركة فداست الخيل بحوافرها ومات.

«فحدق استيفن في وجهها تحديقا وقال لها: وهل تدرين لما ظننت عليه بهذا المال الّذي سألني إياه؟ قالت لا، قال: لأني كنت لا أملك سواه، وكنت بين أن أرسله إليه يبتاع له السرج الّذي يريده أو أنفقه في السفر إلى كوبلانس لأراك، فآثرت رؤيتك على حياته، فنكست ماجدولين رأسها، واحمر وجهها حياء وخجلا وظل جسمها يرتعد ارتعادا شديدا»[2].

تعالت أهات استيفن وتهاطلت دموعه من عينيه كالغيث الغزير دون توقف ونظر إلى ماجدولين وقال هل تعلمين لم أرسل إليه المال الّذي طلبه قالت لا فقال لها بنبرة المتألم المتفجع لأني كنت لا أملك غيره فبدلا من أن أرسله إلى أخي ليبتاع به السرج فضلت إنفاقها على السفر إلى كوبلاس لرؤيتك فقد فضلت رؤيتك على حياة أخي فارتعدت ماجدولين بشدة وتزعزع قلبها وكأن مصائب الدنيا قد وقعت على رأسها ولم تعرف ماذا تفعل أو تقول.

«قد كنت ابكي قبل اليوم على فراقه، أمّا اليوم فقد أصبح ذلك الفراق قطيعة دائمة لا وصل لها، فمن لي بدموع تعينني عليها؟ وخلت بنفسها تتذكر أيامها وهمومها وأشجانها وتذرف آخر ما أبقى لها الدهر بجميع ضرباته وتتكر لها كلّ وجه من وجوه الحياة،

---

[1] الرّواية، ص191.

[2] الرّواية، ص191.

فهجرها زوجها وخانتها صديقتها ونقم عليها الرجل الّذي تحبه وفقدت الثروة التي بـذلت في سبيلها لسعادتها، وأصبحت لا تستطيع أن تطلب الراحلة عن طريق الموت»[1].

لقد عادت ماجدولين إلى المنزل الّذي تربت فيه وعاشت فيه كلّ ذكرياتها ولكن هذه المرة بصفة أخرى فقد عادت لكي تستأجر الغرفة التي كان يستأجرها اسـتيفن وتـذكرت كيف كان يعيش فيها فبكت وسرحت مطولا وتذكرت أيامها وهمومها فهجرهـا زوجهـا وخانتها صديقتها ونقم عليها الرجل الّذي أحبته حتّى الثروة التي تركت كلّ شيء من أجلها تبددت سرابا ووهما وصارت تطلب راحتها في الموت والخلاص.

«مشى إليها حتّى رآها جالسة على الهيئة التي وصفها الرجل فلم تشعر بـه حتّـى صار أمامها فانتفضت انتفاضة تزايلت لها أعضاؤها وتساقطت فيها نفسها، فلم تسـتطيع النهوض من مكانها، وارتج عليها فلم تنطق بحرف واحد، فجلس بجانبهـا وقلبـه يـذوب حسرة وأسى»[2].

علم استيفن بعد عودته من سفره بكل الّذي حل بماجدولين فأسف عليها كثيرا واتجه مباشرة إلى منزل الشيخ فولر أين تقطن ولما وصل المنزل أخذه الخادم إلى مكانها فرآها في حالة يرثى لها لم تشعر بوجوده حتّى وصل إليها وعندما رأته انـتفض انتفاضـة لـم تصدق أنّ الّذي يقف أمامها استيفن لا غير فلم تستطع التفوه بكلمة فجلس أمامهـا وقلبـي ينفطر عليها حزنا وألما.

«هالهم من سكونه وجموده فوق ما كان يهو لهم من جزعه وبكائـه، ثـمّ أخـذوا ينصرفون واحدا بعد آخر، حتّى إذا لم يبق منهم أحد نهض استيفن من مكانه ومشى إلـى الجنة فاحتملها على يديه وساربها إلى المنزل، وفرتز يتبعه صامتا، فصعد إلـى الطبقـة العليا ودخل إلى تلك الفرقة الزرقاء فأضجعها على ذلك السرير الّذي كان بالأمس سـرير عرسها، فأصبح اليوم لحدها الأخير»[3].

إنها الفاجعة لقد أرسلت ماجدولين برسالة إلى استيفن تخبر فيها بأنّها ذاهبـة إلـى حدفها وتوصيه فيها بابنتها فقرأ استيفن هذه السطور بسرعة هائلة فا اتجه مسـرعا إلـى النهر فلما وصل وجد الأمواج المتلاطمة تتضارب بماجدولين يمينا ويسارا فألقى بنفسـه

---

[1] الرّواية، ص199.

[2] الرّواية، ص201.

[3] الرّواية، ص208.

داخل النهر لكن الموت كان أسرع منه واختطفها فأخرجها من النهر ظنا منه أنّها لا تزال على قيد الحياة فأخذ اليأس ينصرفون ويدعون الله فأدرك استيفن هول الحادثة فأخذها بين يديه وأدخلها المنزل الّذي حلها سويا بأن يسكناه وصعد بها إلى الغرفة الزرقاء التي كان يكلمها عنها في رسائلها فأجلسها السرير الّذي صار لحدا لها فياله من نهاية مأساوية مفجعة.

«تول بنفسك أمرها في الساعة التي تجتاز فيها تلك العقبة الكبرى من عقبات الحياة حتّى لا تسقط سقطة تشقى بها أبد الدهر، واذكر لها دائما أنّ أمها كانت تحبها حبا جما، وأنّها ما آثرت الموت على الحياة إلّا لأنّها عجزت عن أن تعيش بجانبها، ولأنّها كانت شقية مرزأة فأشفقت عليها أن يطيش إليها سهم من سهام شقائها»[1].

لقد تركت "ماجدولين" ابنتها أمانة لدى أستيفن واوصته بها وأن يتولى شؤونها فلا تسقط فتشقى وأن يذكر لها أنّ أمها كانت تحبها وأنّ الظروف هي التي منعتها من أن يكونا سويا ولأنّها بائسة وشقية خافت عليها من إلحاق الأذى بها.

«لقد استيقظ صباح يوم من الأيام ضيق الصدر، كثيرا الضجر فخرج من المنزل هائما على وجهه ومشى في طريق ممهدة بين المزارع لا يدري أين يذهب، ولا أي غاية يريد واستمر به المسير بضع ساعات فإذا هو أمام قرية ولفباح فهاجت في نفسه تلك الذكرى الماضية، ومشى إلى بين الشيخ "مولر" فراعه وأدهشه أنّه لم أثرا لذلك البيت، ولا لتلك الحديقة، فلا غرف ولا قيعان ولا سقوف ولا جدران ولا أشجار ولا أغراس، بل رأى أنقاضا مبعثرة وجذورا متناثرة وأحجارا ذاهبة هاهنا وهاهنا، فعلم أنّ مالك البيت الجديد قد هدمه وانتزع أشجار حديقته وأغراسها، فأحزنه المنظر وآلمه، ووقف أمامه مطرقا خاشعا وقوف العابد أمام محرابه»[2].

لقد صارت حالة "استيفن" تتأزم شيئا فشيئا فقد صار الضجر رفيقه وأنيسه فهام على وجهه ومشى على مدى اتساع الأرض لا يعلم أي طريق يسلك ولا أية غاية يريد، وهو في طريقه يمشي وجد نفسه أمام قرية ولفباح وأمام تلك الصورة انبعثت من أعماق قلبه ذكريات الأيام الماضية فمشى باتجاه بيت الشيخ مولر فدهش عندما وصل فلم يجد لذلك المنزل أثرا ولا للحديقة أو الأشجار فلا سقوف ولا غرف ولا جدران ولا أغراس،

---

[1] الرّواية، ص211.

[2] الرّواية، ص215.

بل رأى انقاض وبقايا مترامية وجذورا ميتة وأشجارا تالفة قد ذهبت منها الحياة فعلم أنّ البيت أصبح لمالك جديد تصرف فيه فهدمه وانتزع أشجار حديقته وأغراسها فاحزنه ذلك المنظر كثيرا وآلمه وذهل كثيرا أمامه فظل خاشعا متفجعا لهذه الحالة.

«حتّى نغصوا عليه حياته، وذهبوا براحة نفسه وسكونها وملأ قلبه وساوس وأوهاما، فساء ظنه بنفسه وأصبح يرتاب معهم كما يرتابون في اقتداره ونبوعه ولولا أنّ صديقه "هومل" كان مرآته الصادقة التي يرمي فيها نفسه من حين إلى حين لنفض يده من الموسيقى نفض اليائس القانط ولحرمت الأمة الألمانية هذه الغيتارة البديعة الساحرة التي لم يلخق الله شبيهها في العالم منذ خلقت الدنيا حتّى اليوم، فويل للأشرار الخبثاء، ماذا كانوا يريدون أن يصفوا وماذا كان يكون شأن الموسيقى في العالم لو تم لهم ما أرادوا»[1].

لقد تعرض بتهوفن للظلم والاضطهاد فاشترك الجميع في تنغيص حياته وإقلاق راحته وملأوا قلبه وساوس وأوهاما فمل ذلك الوضع وساء ظنه بنفسه وكاد يفقد الأمل بكل شيء فكره الدنيا وما فيها لولا صديقه "هومل" كان معه مساندا وداعما له فكان يقوده إلى إحساسه الداخلي الصادق الّذي كان يزرعه فيه ويشبثه به فكان مرآة عاكسة لتطلعاته وأحلامه فلولاه لاعتزل بتهوفن فن الموسيقى والإبداع بسبب القنوط واليأس ولما تعالا اسم ألمانيا بهذا الرجل الفذ وحرمت من هذه الغيتارة البديعة الساحرة التي لم يخلق لها مثيل منذ خلقت الدنيا فويل لهؤلاء الأشجار ما كانوا يريدون أن يفعلوا ببتهوفن ولو فعلوا ماذا سيكون شأن الموسيقى لولا إبداعاته التي تزيد الكمال على كلّ معزوفة.

«فما وقع نظره على القطعة ورأى اسم صاحبها في رأسها حتّى اصفر لونه وارتعدت يده وأرفض جبينه عرقا، ثمّ أخذ يبكي بكاء شديدا فانتبه القوم إليه، ونهضوا من مكانهم مذعورين، وأحاطوا به يسألونه ما خطبه فأشار بأصبعه إلى عنوان القطعة فلم يفهموا ما يريد، فقال لهم إنّها قطعتي أيّها الأصدقاء وأنا الموسيقى بيتهوفن، فدهشوا جميعا، وظلوا ينظرون إليه باهتين مذهولين ثمّ رفعوا قبعاتهم عن رؤوسهم وجثوا بين يديه خاضعين متخشعين وتناولوا يده وأخذوا يقبلونها واحدا بعد الأخر، فكانت هذه الساعة هي الساعة الوحيدة التي ذاق فيها لذة الاحترام في حياته وكانت هي بعينها الساعة التي رفرف على رأسه فيها طائر الموت فقد شعر تلك اللحظة بوخزة مؤلمة في جسمه»[2].

---

[1] الرّواية، ص219.

[2] الرّواية، ص 222.

لقد رأى بتهوفن وسط تلك العائلة فتاتان تطربان للموسيقى تعزفان ألحانا رائعة بدت من خلال تفاعل الجميع معها وسروح خيالهم فمشى ليرى اسم القطعة الموسيقية لأنّه لا يستطيع سماعهم فعندما رآها حتّى ارتعش جسمه واصفر وجهه فتساءل الجميع ما الّذي حل به فأخبرهم أنّه هو بتهوفن وأنّ هذه الموسيقى التي أبكتهم هي له فوقف الجميع حائرا ومتفاجأ وغلبت الدموع بتهوفن فهرع الجميع إليه وأخذوا يقبلونه ويتبركون به وكانت تلك اللحظة الوحيدة التي ضاق فيها لذة الاحترام والتقدير وكذلك كانت الساعة التي رفرف فيها طائر الموت على رأسه وشعر أنّ الموت يتسرب إلى قلبه.

«ما وصل استيفن في حديثه إلى هذا الحد حتّى اصفر لونه، وتنغض جبينه وأطرق برأسه إلى الأرض، فانتبه إليه القوم فإذا هو واضع يده على قلبه، وإذا دموعه تنحدر على خديه متتابعة فقال لهم أحدهم: ما بالك يا استيفن؟ فرفع رأسه بعد هنيهة وقال: إنّما أبكي على هذا الرجل المسكين الّذي عاش في حياته شقيا ومات مسكينا، ولم يبتسم له الدهر في يوم من أيام حياته ابتسامة واحدة يكافئه بها على يده التي أسدا إلى هذا المجتمع»[1].

لقد كان استيفن يقص على الحضور قصّة بتهوفن فتأثر لذلك كثيرا، تذكر حياته المأساوية فاصفر وجهه وانقلب حاله وأسقط رأسه إلى الأرض فانتبه إليه القوم وهو يتألم واضعا يده على قلبه وتهاطلت دموعه متتابعة دون توقف وكان قلبه ينفطر من الألم وقال إنني أبكي على هذا الرجل العظيم، الذي عاش في حياته البؤس والحرمان مات مسكينا ولم يرى يوما في حياته من السعادة ولم يبتسم ابتسامة واحدة جزاء على الألحان التي قدمها للناس وأسعدهم بها.

«فبدأ يوقع ذلك اللحن درب لم أشقيتني وما أشقيت أحدا من عبادك ويفنيه بصوت ضعيف خافت، ثمّ اخذت عواطفه تشتمل شيئا فشيئا فعلا صوته وأنشأت نغماته تنتشر في أجواء الفضاء، فسمع القوم تلك الموسيقى السماوية العالية التي لم يخلق الله لها مثيلا...وخيل إليهم أنّهم لا يرون بينهم مغنيا يوقع على أوتاره، بل ثاكلا متفجعا يذرف مدامعه ويصعد زفراته، حتّى الموسيقى "مورات" همس في أذن أحد الجالسين بجانبه قائلا: "إنّ الرجل لا يغني بل يموت وإني أشم في أنفاسه رائحة الكبر المحترقة"، وكان كلّما

---

[1] الرّواية، ص223.

استمر في عزفه اشتد تأثره والتهبت عواطفه، وتلون صوته بلون الأنين المحـــزن، حتّـــى فني عن نفسه وعما حوله، واستولت عليه حالة غريبة من الذهول والاستغراق»[1].

جلس استيفن إلى البيانو وبدأ يسجل لحن بتهوفن الأخير الّـــذي وقعـــه فـــي آخـــر ساعات حياته ويعزفه بكل إحساس متأجج العواطف فبدأ صوته يخف تدريجيا ثـــمّ يعـــاود الارتفاع وصارت نغماته تنتشر في جميع الأرجاء، فتذوق الحاضرون أعـــذب الألحـــان وأسماها التي لم يخلق الله لها مثيلا ولم يرو في وجه استيفن الموسيقى الطرب بل الإنسان المتفجع والمتألم الّذي تعلو احزانه مع علم النوتات وتنخفض آهاته مع نزولها حتّى أنّ أحد الموسيقيين همس في أذن أحدهم وقال له إنّ الرجل لا يعزف موسيقى بل يعـــزف لحـــن موته وفنائه وأنّ النيران تتأجج بروحه وتكاد تنهي حياته.

«وإنّهم ليصفقون هذا التصفيق الشديد ويدعون له بالحياة الطويلة، يتـــدافعون إلـــى مكانه لتهيئته وتمجيده، إذ بهم ينظرون إليه فيرونه مائلا برأسه على ظهر كرســـيه، وقـــد اقشعر وجهه وتغيرت سحنته وأمسك بكفه على أحشائه فطارت ألبابهم وطاشت عقـــولهم ومرت بخواطرهم جميعا مرور البرق تلك الصورة التي مات عليها بتهوفن فـــي قصـــته التي قصها عليهم منذ الساعة فتشاءموا وانقبضت نفوسهم..... فأطرقوا واجمين مكتئبـــين وأحاطوا سريره ينتظرون قضاء الله فيه»[2].

انتهى استيفن من معزوفته فصفق الجميع إجلالا لموهبته وهرعوا إلى تهنئته فـــإذا بهم ينظرون إليه فيرونه في حالة مأساوية وقد أسند رأسه على كرسيه، وقد تغيـــر لـــون وجهه واقشعر بدنه ووضع يديه على أحشائه فتفجعوا لهذا المنظر ولـــم يصـــدقوا هـــول الحادثة وتذكروا قصّة بتهوفن التي قصها عليهم استيفن منذ حين فمر بخاطرهم أنّ نفـــس النهاية ستكون لاستيفن فانقبضت نفوسهم لهول المأساة التي يعيشونها وأنّه عـــاش الألـــم والحزن والظلم والشقاء في حياته فلم يرى يوما طيبا في حياته.

«أوصيكم جميعا ألاّ تحزنوا على موتي، فغني وإن قضيت حياتي شقيا فهـــا أنـــتم ترون أنني اموت بينكم سعيدا، وكان هذا آخر ما نطق به ثمّ أسلم روحه.

---

[1] الرّواية، ص224.

[2] الرّواية، ص225.

وكذلك انتهت حياة هذا الرجل العظيم قتل الحب جسده ولكنه أحيا نفسه وسجلها في سجل النفوس الخالدة»[1].

لقد كانت آخذ وصية أوصى بها استيفن الحضور أن لا يحزنوا لموته وأنه إن تألم وشقى في حياته وعاش وحيدا فإنّ موتته كانت في وسط الكثير من المحبين أمثالهم فتفجعوا له وبكوا عليه كثيرا ثمّ سلم روحه إلى خالقه.

وكانت هذه نهاية حياة هذا الرجل العظيم الّذي قدس الحب حياته وقتل جسده لكنّه تسامى بنفسه إلى أرقى الدرجات وسجلها في سجل العظماء الخالدين والنفوس المتعالية.

الخلاصة:

استطاع الكاتب أن يحبك روايته بحبكة متناهية في الدقة والجمال أصبغ عليها الطابع العاطفي الشاعري تجاذبت خيوطه شخصيات مختارة بعناية، لعبت كلّ واحدة دورها على حدى في تناسق ومهارة تامتين، كانت الطبيعة أرضيته والحب والعاطفة سكانه، أمّا الحزن والألم فكان البوتقة التي تعتلي أطرافه.

---

[1] الرّواية، ص226.

الخاتمة

يمكن القول أنّ رواية ماجدولين لألفونس كارو والتي ترجمها المنفلوطي رواية قد المت بجميع مبادئ المدرسية الرومانسية، فالرّواية لم تخلو صفحاتها دون وصف مظهر من مظاهر الطبيعة سواء الليل أو الزهر أو المطر، كانت مفعمة بالعلاقات الإنسانية، فقد كانت عبارة عن رسائل بين العشاق والأصدقاء الأهل والخلان وأسلوب المراسلة هذا أصبغها الطابع التفردي الإنساني العالي، كما أنّ سير الأحداث كان منطقيا وطبيعيا غير منافي للطبيعة الإنسانية وغير خارق للطبيعة.

كانت شخصيات الرّواية ذات صبغة مأساوية حزينة تتألم لآهات المتألمين وتبكي لحرقة المفتجعين، كما كانت موقوتة بالعاطفة الجياشة وبالحب الصادق النبيل.

تدور أحداث الرّواية حول قصّة حب مأساوية بين شاب وفتاة من طبقة اجتماعية فقيرة يحلمان بالزواج والعيش معا، لكن الطمع وحب المال يحول دون ذلك وتتأجج المأساة وتنشب أطرافا أخرى.

في نهاية بحثي أستطيع أن أحدد خصائص الرومانسية في الطبيعة التي تتغنى بها شخصيات الرّواية وعانقتها وتمازجت بين ربوعها.

الحب الّذي جمع قلبي ماجدولين واستيفن الّذي أحبها حبا صادقا لا يضاهيه شيء ولا تدنسه شائبة.

العاطفة القوية والتي زادت الرّواية واقعية أكثر وبعدا روحيا إضافة إلى الروح الشاعرية.

الألم المشبع بالأحزان والحس المأساوي الّذي جعل من الرّواية تدمي قلب كلّ من يتصفح صفحاتها ويستهيم في قراءتها، والأهم من ذلك الصبغة الرومانسية الشاعرية التي طبعت الرّواية.

الملاحق

الملاحق

أولا : المنفلوطي في سيرته الذاتية:

1-مولده و نشاته:

"هومصطفى لطفي المنفلوطي المولود في بلدة منفلوط المصرية 1877، كان والده قاضيا شرعيا لبلدته ونقيبا لاشرافها وزعيما لاسرته المعروفة بنسبها العريق الذي يعود الى سلالة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- حفظ القران منذ حداثة سنه والتحق بالازهر الشريف وبفضل حبه للادب والادباء انصرف الى تحصيل ما اتيح له منه فلم يترك ساعة يخلو فيها بنفسه الا انصرف الى القراءة فستطاع أن ينمي ذوقه الأدبي"[1]

2-وفاته:

" لم يعمر المنفلوطي طويلا فقد وافته المنية يوم الخميس الواقع في12 حزيران 1924(10 ذي الحجة1342) يوم جرت فيه محاولة اغتيال الزعيم الوطني سعد زغلول حيث نجى من تلك المحاولة لكنه جرح جرحا بليغا فانشغل الناس بتلك الحادثة ولم يلتفتوا كثيرا الى مأتم المنفلوطي كما ينبغي.

3-صفاته وأخلاقه:

عن اخلاق المنفلوطي يقول الاديب الناقد حسن الزيات في كتابه " تاريخ الادب العربي" انه كان مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الفكر، متسق الاسلوب، منسجم الزي، لاتلمح في قوله ولا في فعله شدود العبقرية".[2]

4-مؤلفاته:

" كتب المنفلوطي الكتب التالية:

النظرات

في سبيل التاج

ماجدولين او" تحت ظلال الزيزفو"

بول وفرجيني او الفضيلة

الشاعر او سيرانودي برجيراك

العبرات

---

[1] المنفلوطي: سيرته، أخلاقه، مؤلفاته و مكانته الأدبية،د ط ، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، 2001، ص 7.

[2] المرجع نفسه ، ص 8.

اشعار ومنظومات رومانسية كتبها في بداية نشاته الادبية وقد نشر احمد عبيد قسما منها في كتابه"مشاهير شعراء العصر"

مختارات المنفلوطي وهي مختارات شعرية ونفرية انتقاها المنفلوطي من ادب الادباء العرب في مختلف العصور".[1]

ثانيا : ملخص الرواية

تدور أحداث الرواية في طبيعة ريفية تولد خلالها قصة حب تجمع بين استيفن وماجدولين تتسم بالصدق والنبل والطهارة، كان استيفن مولع بالموسيقى، تعلق بماجدولين وحلم معها بتأسيس عائلة سعيدة، أما ماجدولين فهي فتاة حساسة، عاشقة للطبيعة بادلته الحب والمشاعر لكن والد ماجدولين يعارض هذه العلاقة، ويطمح بتزويجها لرجل غني يزيل عنها متاعب الدنيا وشقائها، فيدخل ادوارد صديق استيفن بمساعدة سوزان صديقة ماجدولين كطرف ثالث فيغير سير أحداث الرواية ويتزوج ماجدولين ويبقى ستيفن يعاني بين غدر صديقة وخيانة حبيبته له، فيعاني الحزن والألم ويعيش المأساة ثم لا يلبث كثيرا حتى يبرع في الموسيقى فيصير من ألمع مبدعي ذلك العصر، وفي الوقت ذاته يفلس ادوارد وتتأزم علاقته بماجدولين فيهجرها وينتحر فتجد ماجدولين نفسها وحيدة تواجه ويلات الدهر فتحاول كسب قلب ستيفن من جديد لكنه يفضل كرامته على كل شيئ فتقنط من الحياة وتترك رضيعتها مع رسالة مختومة على باب استيفن وتضع حدا لحياتها فيحزن استيفن حزنا شديدا ويضع هو الأخر حدا لحياته وهكذا تنتهي أحداث الرواية الحزينة.

[1] المنفلوطي: المرجع السابق، ص11.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1- مصطفى لطفي المنفلوطي: ماجدولين، دار الكتب العلمية، بيروت

ب- المعاجم والقواميس:

1- مجدي وهبة-كامل المهندس:معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب،ط 2، مكتبة رياض الصلح،بيروت-لبنان،1984

2- محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الادب، دط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر،2003

ج- المراجع بالغة العربية:

1-ابراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دارالميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن، 2003

2-احمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ط 1،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،2001

3-السعيد بيومي الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب،1998

4-أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، د ط، دار المعارف القاهرة،د ت

5-إحسان عباس:فن الشعر، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن،1996

6-انطونيوس بطرس: الأدب(تعريفه، انواعه، مذاهبه) د ط، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان،2005

7-إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ط2، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1983

8-حامد حنفي داوود: تاريخ الادب الحديث(تطوره، معالمه الكبرى،مدارسه) د ط،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993

9-حلمي علي مرزوق: الرومانسية، الواقعية النقدية، الواقعية الاشتراكية، اصولها الفنية والفلسفية والايديولوجية، د ط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية-مصر، دت

10-حمدي الشيخ: جدلية الرومانسية والواقعية في الشعر المعاصر، دون دار نشر،2005

دون كان هيث: الرومانسية، ط1،المشروع القومي للترجمة، القاهرة،2005

11-رجاء عيد: لغة الشعر(قراءة في الشعر العربي الحديث) د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت.
12-سيدي محمد ولد ديب: الجماليات الرومانسية(راهنتيها وحدودها) ط1، دار الأفاق العربية، مدينة نصر-القاهرة،.2006
13-شكري عياد:المذاهب الادبية والنقدية عند العرب والغربيين،د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت،1993
14-عباس بن يحيى: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة-الجزائر،2004
15-عبد الدايم الشوا: في الادب المقارن(دراسة تطبيقية مقارنة بين الأدبين العربي والانجليزي) ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب' الجزائر،1983.
16-عبد الرزاق الاصفر: المذاهب الادبية لدى الغرب(مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها) د ط،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،.1999
17-عبد العاطي شلبي، فنون الادب الحديث(بين الادب الغربي والادب العربي) ط1، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية،2005
18-عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاص، د ط، مكتبة الشباب، القاهرة،1988
19-عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الادبي الحديث، ط1،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1416ه
20-عز الدين اسماعيل: الادب وفنونه(دراسة ونقد) ط9، دار الفكر العربي، القاهرة،.2007
21-فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الادب، ط 1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت،.1988
22-محفوظ كحوال:المذاهب الادبية(كلاسيكية، الرومانتيكية، البرناسية،الواقعية،الرمزية، الوجودية،الدادية،السريالية) د ط، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، .2007
23-محمد حسن عبد الله: مداخل النقد الادبي الحديث،د ط، الدار المصرية السعودية، القاهرة،.2005

24-محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، د ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، د ت.
25-محمد غنيمي هلال: الادب المقارن، د ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،.2004
26-محمد غنيمي هلال:النقد الادبي الحديث، د ط، مصر للكباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر،.2004
27-محمد مندور: الادب ومذاهبه، د ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،.1979
28-نسيب نشاوي: مدخل الى دراسة المدارس الادبية(الاتباعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية) د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984.

د: المراجع الأجنبية المترجمة:

1-بول فان تيغيم: الرومانسية في الادب الاوروبي، تر،صياح الجهيم، د ط، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق،1981،ج.1
2-رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، تر، محمد عصفور، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،.1978
3-سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر، عبد الواحد لؤلؤة، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، د ت.
4-عبد الوهاب الميسري: مختارات من الشعر الرومانتيكي الانجليزي، تر، محمد علي زيد، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1989.

هـ- مواقع انترنات:

1-فايز علي:الرمزية والرومانسية في الشعر العربي www.kotobarabia.com

فهرس
الموضوعات

الإهداء

مقدمة .....أ-جـ

مدخل

تطور الرواية

1- **نشأة الرواية** 5-6

2- **انتقالها إلى العالم العربي** 6

3- **الترجمة** 7-8

الفصل الأول

نشأة الاتجاه الرومانسي

أولا- نشأة الاتجاه الرومانسي .....

1- تعريف الرومانسية 11-14

ثانيا- النشأة والتطور .....

1- عن الغرب 14-24

2- عند العرب 24-27

ثالثا- مبادئ الاتجاه الرومانسي .....

1- الطبيعة 28-29

2- العاطفة 30-31

3- الإحساس بالغربة والألم والتعاطف مع البؤساء 31

4- الحزن والمأساة 32

5- الخيال 32-33

6- التمرد 34-35

7- النزعة الذاتية (الفردية) 35-37

8- الصورة والوحدة العضوية 37-38

9- القومية الوطنية 38

10- الابداع والتحرر 38-39

خلاصة.....**39**

الفصل الثاني

مظاهر الرومانسية في رواية ماجدولين "تحت ظلال الزيزفون" (الجانب التطبيقي)

توطئة.....41

التأمل في الطبيعة 42-52

الحب.....53-60

العاطفة.....61-67

الألم.....68-82

ظاهرة الحزن 83-90

الحس المأساوي 91-106

الخلاصة 106

الخاتمة 108

ملاحق 110-112

قائمة المصادر والمراجع 114-117

فهرس الموضوعات 119-120

ملخص

تعد رواية "ماجدولين" للكاتب الفرنسي ألفونس كار والتي ترجمها مصطفى لطفي المنفلوطي من أروع الروايات الرومانسية و أعذبها تدور أحداثها حول قصة حب مأساوية تفرقها الأيام ومطامع الحياة تناولت في هذه الدراسة نشأة الرواية وتطورها وانتقالها إلى العالم العربي كمدخل أما الفصل الأول فدرست فيه الرومانسية وظروف نشأتها وتغلغلها إلى الأدب العربي أما الفصل الثاني فتطرقت فيه إلى خصائص الرومانسية وحاولت إسقاطها على الرواية أهم ما ميز الرواية أسلوب التدوين والمراسلات هذا ما زادها الصبغة الرومانسية العاطفية.

الكلمات المفتاحية: الرومانسية، الرواية، العاطفة، الحب.

résumé

Le roman écrivain Magdoline French Alphonse Carr traduit par Mustafa Lutfi Manfaluti des plus beaux romans romantiques et se déroule sur les tragiques histoires d'amour jours de dispersion et les ambitions de la vie abordée dans cette étude, la genèse du roman et de son développement et sa transition vers le monde arabe comme une entrée au premier chapitre I étudié les romantiques et les circonstances de sa création et de pénétration à la littérature arabe le deuxième chapitre où elle traite des propriétés romantiques et a essayé de le déposer sur le roman la caractéristique la plus importante de la nouvelle méthode de blogging et de la correspondance est ce que ce colorant émotionnel romantique les augmenter.

Mots clés *: Romance, roman, passion, amour.*

بحمد الله